الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين –سطيف2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مطبوعة الدعم البيداغوجي

مقياس: فلسفة العلوم "مشكلات"

موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر –السداسي الثاني–

تخصص: فلسفة تطبيقية –فلسفة عامة

من إعداد:

الأستاذ: العمري حربوش

أستاذ محاضر (أ)

السنة الجامعية: 2021-2022

عنوان الماستر: فلسفة تطبيقية

السداسي: الثاني

اسم الوحدة: أساسية

اسم المادة: فلسفة العلوم2: مشكلات

الرصيد: 5

المعامل: 2

أهداف التعليم:

المعارف السابقة:

محاور المادة:

المحور الأول: المشكلات الابستيمولوجيا العامة للعلوم

- الموضوع،
- المنهج
- الغاية،
- التطبيق
- الوظيفة الاجتماعية

المحور الثاني: المشكلات الابستيمولوجيا للعلوم الإنسانية

1-المشكلات الابستيمولوجيا العامة.

- مشكلة تصنيف العلوم الإنسانية.
- مشكلة المناهج المستخدمة في العلوم الإنسانية ونظرياتها.
- مشكلة علاقة العلوم الإنسانية بالتيارات الفلسفية والدينية المواكبة لتطورها.
- مشكلة تكوّن العلوم الإنسانية ومفاهيمها.
- مشكلة التأخر التاريخي في ظهور العلوم الإنسانية.

2-المشكلات الابستيمولوجية الخاصة:

- مشكلات علم النفس،
- مشكلات علم الاجتماع.
- مشكلات علم التاريخ.
- مشكلات علم السياسة.
- مشكلات علم التربية...

المحور الثالث: المشكلات الابستيمولوجية للعلوم الصورية (الرياضيات والمنطق)

- مشكلة اليقين في الرياضيات.
- مشكلة النهاية واللانهاية في الرياضيات.
- مشكلة صورية الفكر وماديته.

المحور الرابع: المشكلات الابستيمولوجيا للعلوم (العلوم الطبيعية).

- مشكلة الموضوعية (إشكالية التحيز في العلوم الطبيعية(
- مشكلة السببية (ديفيد هيوم...)

المؤسسة: عنوان الماستر40
السنة الجامعية

- مشكلة الحتمية واللاحتمية (هايزنبرغ)
- مشكلة الاستقراء (كارل بوبر)
- مشكلة الاغتراب في العلم (النظرية والتطبيق)

طريقة التقييم: متواصل -امتحان

المصادر والمراجع:

- جان بياجي: الابستيمولوجيا التكوينية، ترجمة: السيد نفادي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1991.
- جان بياجي: التوجهات الجديدة للتربية، ترجمة: محمد الحبيب بلكوشو، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1988.
- هنري برغسون: الفكر والواقع المتحرك، ترجمة: سامي الدروبي، مطبعة الإنشاء، دمشق.
- إدموند هوسرل: تأملات ديكارتية أو المدخل إلى الفينومينولوجيا، ترجمة: تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1958.
- محمد وقيدي: العلوم الإنسانية والإيديولوجيا، دار الطليعة، بيروت، 1983.
- محمد وقيدي: ما هي الإبستيمولوجيا؟ دار الحداثة، بيروت، 1983.
- إيان هاكينج: الثورات العلمية، ترجمة وتقديم: السيد نفادي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م.
- آلان تورين: براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة: جورج سليمان، طبعة أولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، أفريل 2011م.
- سمير أبو زيد: العلم والنظرة العربية إلى العالم" التجربة العربية والتأسيس العلمي للنهضة، مركز دراسات الوحدة العربية، طبعة أولى، أكتوبر 2009م.
- محمد جلال شرف ومحمد محمد قاسم: قراءات في فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.
- BACHELARD: L'activité Rationaliste de la Physique Contempo raine, éd, p, u f, 1970 .
- BACHELARD: La Formation de L'esprit Scientifique, Contribution Aune Psychanalyse se la Connaissance; Seizième Tirage, Librairie Philosophique J. Vrin, 1996.
- BACHELARD: La Philosophie du Non, 3éd, p, u, f, Vrin, Paris, 1988.
- BACHELARD: La Philosophie du Non, 3éd, p,u,f, Vrin, Paris, 1988
- BACHELARD: La valeur inductive de la relativité. Paris, 1929.
- BACHELARD: le rationalisme appliqué, 3em édition, "quadrige", p u f, février 1998.
- BACHELARD: Le Rationalisme Appliqué, p, u, f, Paris, 1988.
- BACHELARD: L'engagement Rationaliste, éd, p. u. f, Paris, 1972.
- Bruno Jarrosson: Invitation à la philosophie des sciences, Editions du Seuil, Janvier 1992.
- EINSTEIN. Comment je vois le monde, Trad. de Régis Hanrion, Flammarion, 1979.
- EINSTEIN et Enfield: L'évolution des idées en physique, Trad., de M Solovine, Flammarion, 1948.
- François Rogier: La Philosophie de Henry Poincaré, Can, Paris, 1920.
- Lalande: Dictionnaire technique et critique de la philosophie, presses Universitaire de France, 4e édition, paris ; 1997.
- Lalande: Lecture sur la Philosophie des Sciences,Hachette,5éd, paris,1953,
- Louis de Broglie: L'Avenir de la Sciences, Paris, 1941.

المؤسسة: عنوان الماستر 41
السنة الجامعية

التعريف بالمقياس:

هذه المحاضرات في مقياس فلسفة العلوم مشكلات موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر فلسفة تطبيقية – فلسفة عامة ل م د ، وهو مقياس سداسي. الهدف منه، تمكين الطلبة من إدراك قيمة الفلسفة اليوم من خلال مشاركتها في مختلف النقاشات حول القضايا العلمية الراهنة باعتبارها بحث في المعرفة أي إبستمولوجيا (فلسفة العلوم)، وبالتالي المسائلة عن المعيار المعرفي والمنطقي (المنهجي) للعلوم بمختلف شعبها، من جهة، ومن جهة اخرى، باعتبارها معنية بالمسائلة عن قيمة هذه العلوم.

تأتي هذه المحاضرات لتوضيح طبيعة هذه النقاشات حول العلوم عل اختلاف طبيعتها وموضوعاتها ومناهجها. وكون محاور المقياس تشير إلى عموم هذه المسائل، فإن استاذ هذا المقياس مطالب بتفصيلها، انطلاقا من تخصصه، واهتماماته بهذا المبحث الراهني، لذلك سوف تجدون أغلب المراجع باللغة الأجنبية، وهذا ليس تحيزا للّغة، بل هي ضرورة ترجع إلى تقدم المتحد العلمي الغربي في هذا المجال.

المحور الأول: المشكلات الإبستمولوجية العامة للعلوم

1– المحاضرة الأولى:

فلسفة العلوم: المفهوم

إن البحث في مجال فلسفة العلوم يتطلب منا أولا قبل كل شيء تجاوز عتبة مفهومها من أجل الخوض في مثل هذا النوع من الدّراسات والبحوث التي تناولها التفكير العربي المعاصر ودُرِست في كل الجامعات كفرع من فروع الفلسفة. من جهة أخرى يعتبر مفهوم فلسفة العلوم من المفاهيم التي يصعب ضبط محدداته بدقة بشهادة الكثير من مفكرينا وفلاسفتنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر الجابري (رحمه الله) [1]، وذلك لأن من شروط المفهوم، الحصر، لكن طرفي هذا المصطلح لا يتوفر فيها تقريبا هذا الشرط. لذلك سوف يكون من الصعب تمييز هذا المفهوم عن المفاهيم القريبة منه خاصة مصطلح "ابستمولوجيا"، الذي يستعمل كبديل للتعبير عن مصطلح فلسفة العلوم.

– مفهوم فلسفة العلوم:

عبارة فلسفة العلوم أو Philosophie des sciences Philosophy of science لم يكن لها ظهور في اللّغة الفلسفية إلاّ مؤخرا، وقد حصل ذلك في الوقت نفسه بفرنسا وإنجلترا. يرجع استعمال عبارة فلسفة العلوم إلى العالم الفيزيائي –الكيميائي أمبير André Marie Ampère (1775-1836) والذي لقب آنذاك بنيوتن الكهرباء من خلال مؤلفه: مقالة في فلسفة العلوم، أو عرض تحليلي في التصنيف الطبيعي لكل المعارف الإنسانية 1834 Essai sur la philosophie des sciences, ou exposition analytique d'une classification naturelle de toute les connaissances humaineS، وهو قارئ كانط Kant، ينظر إلى العلوم على "أنها مجموعة من الحقائق، ودور فلسفة العلوم هو الكشف عن النظام الطبيعي لهذه المجموعات، وفقا لنموذج التصنيف"[2].

يأتي فيما بعد كتاب دروس في الفلسفة الوضعية Cours de philosophie positive لأوغست كونت Auguste Comte (1798-1857)، وهو عبارة عن ستة اجزاء ألفها بين سنتي 1830-1842:

1. Les Préliminaires généraux et la philosophie mathématique (1830) .
2. La Philosophie astronomique et la philosophie de la physique (1835) .
3. La Philosophie chimique et la philosophie biologique (1838) .
4. La Philosophie sociale et les conclusions générales (1839) .
5. La Partie historique de la philosophie sociale (1841) .

---

1 محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 2002، ص24.

2 A.M. Ampère Essai sur la philosophie des sciences, ou exposition analytique d'une classification naturelle de toute les connaissances humaines, Chez BACHELIER, IMPRIMEUR-LIBRAIRE POUR LES SCIENCES, paris, 1834, pp 3-6.

6. Le Complément de la philosophie sociale, et les conclusions générales (1842).

وتحت اسم فلسفة العلوم، يقترح كونت تصنيفا من الظواهر الأكثر بساطة ويبين بأنها أكثر تعميما، والأكثر غموضا بالنسبة للإنسان، ومنه فإن التسلسل العقلاني لمختلف العلوم الأساسية هو من فرض هذا النظام الذي يبدأ من الرياضيات إلى العلوم البيولوجية ثم العلوم الوضعية ومنها علم الاجتماع: "إن فلسفة العلوم الأساسية تتصف بكونها نظاما لتصاميم وضعية بالنسبة لكل الأنظمة المعرفية الواقعية، وهذا كاف لبناء فلسفة أولى التي يبحث عنها بيكون Bacon". وتستعمل كقاعدة دائمة لكل تأمل أو تفكير إنساني[3]، ينبغي عليها أن تسمح للتطور بأن يُقدَم على أنه تطوير للنظام، ومنه نصل إلى مقصود كونت وهو (النظام والتطور) (Ordre et Progrès) .

من خلال كتابه فلسفة العلوم الاستقرائية Philosophie des sciences intuitives 1840 يكون وليام ويل William Whewell (1794-1866) قد أدخل عبارة فلسفة العلوم في لغة التعبير الفلسفي الإنجليزي، ويعتبر هذا الكتاب، صورة كاملة عن جوهر الشروط لكل معرفة واقعية، والتي تخلصنا من كل الأوهام والتشويش النظريات والمذاهب التي تنتمي ظاهريا لعلوم غير العلوم المادية: (منها الاقتصاد السياسي، فقه اللّغة La philologie، الأخلاق، والفنون الجميلة).

– فلسفة العلوم والابستمولوجيا:

كلمة ابستمولوجيا Épistémologie والتي تعني حرفيا نظرية حول (في) العلم، هي اختراع حديث، جاءت تزاحم عبارة فلسفة العلوم. لا تظهر في قاموس ليتري Le Littré ولا في القاموس الجديدLe nouveau Larousse illustré وكذا معجم Robert، يرجع ظهور الكلمة في القواميس الفرنسية، إلى ملحق المعجم المشهور Larousse Illustré لسنة 1906، في هذا التاريخ، وأثناء تأليف معجم لالاند الفلسفي، جيل لاشليه Jules Lachelier نظر إلى الكلمة على أنها تعبير جديد مؤسف[4] Néologisme regrettable .

ولأن الكلمة جديدة، فإن ما تدل عليه من معنى ليس هو الآخر قديم، فعلا، كل فلسفة تحمل في طياتها نظرة حول المعرفة، حتى أن تيتاوس Théétète أفلاطون يعرض معنى أوسع لنظرية المعرفة، إلا أن كلمة علم أخذت معنى أكثر ضيق وأكثر دقة ابتداء من القرن الثامن عشر، أين يمكن استيعابه حين نتحدث اليوم عن كلية العلوم، أو الثقافة العلمية، أو التطبيقات العلمية. لكن الوسيلة الوحيدة لمعرفة فيما كان حقا هذا علم، هي أن نشتغل به في أول الأمر.

3 August Comte, Cours de philosophie positive, Edition numérique, Vol 1, LES PRÉLIMINAIRES GÉNÉRAUX ET LA PHILOSOPHIE MATHÉMATIQUE, ROUEN FRÈRES, LIBRAIRE-ÉDITEUR, 1830 p 48.

4 Robert Blanché, L'épistémologie, Col , Que s'ais-je, Paris, puf, 1972, p 5.

هل اشتغل فلاسفة القرن السابع عشر بالعلم فعلا؟ عند نيوتن كما عند ديكارت يُبحث العلم تحت عنوان Principes de la philosophie واستمرت عبارة فلسفة الطبيعة Philosophie de la nature تستعمل حتى نهاية القرن التاسع عشر لتعيّن الفيزياء. لذلك مهما تضمنت المؤلفات منها:

- الأرغنون الجديد : بيكون 1620
- مقال في المنهج: ديكارت 1637
- إصلاح الذهن: سبينوزا 1665-1670
- في البحث عن الحقيقة: مالبرانش 1674-1675

من ملاحظات أبستمولوجيا فهي لا يمكن أن تكون مؤلفات أبستمولوجيا، لفقدانها عنصر النقد.

بينما مؤلفات مثل:

- بحث في الفهم الإنساني: جون لوك 1689
- أبحاث جديدة في الفهم الإنساني: ليبنيتز 1765

هي مؤلفات قريبة من مفهوم الأبستمولوجيا

أما في القرن الثامن عشر، فإن المؤلف الذي يوضح إلى حد ما معنى الابستمولوجيا هو من دون شك كتاب دلامبير Jean Le Rond d'Alembert 1751 Le Discours préliminaire de l'Encyclopédie

وفي بداية القرن الموالي، يمكن النظر إلى المؤلفات التالية على أنها إعلانات للإبستمولوجيا، منها: المجلد الثاني من كتاب فلسفة العقل الإنساني Élément de la philosophie de l'esprit humain 1808 لـ دوغالد Dugald Stewart، وكتاب دروس في الفلسفة الوضعية لأوغست كونت August Comte، وكذات كتاب: جون هرشال J.Herschel Le discours préliminaire a l'étude de la philosophie naturelle.

تقريبا في الفترة نفسها ظهر اثنين من المؤلفات الرئيسية تتحدث عن الابستمولوجيا دون ذكر الكلمة.

- الكتاب الأول: في أربعة أجزاء، Wissenschaftslehre أو ترجمتها إلى الفرنسية Les Principes de la Doctrine de la science 1837 لـ بولزانو Bernard Bolzano (1782-1848)، الهدف الأساسي الحتمي للمنطق (الذي يطلق عليه اسم المنطق الخالص) بمفهوم نظرية العلم، هو توفير القواعد التي توجه وتتقدم البحث العلمي، أي مجموعة القواعد التي بمقتضاها نعمل حين يتعلق الأمر بتقسيم المجال الكامل للحقيقة الخاصة بالعلوم، ووضع لكل قسم منها دليل[5].

5 S.Lapointe, Bernard Bolzano. Philosophie de la logique et théorie de la connaissance **,** Introduction : Bernard Bolzano : contexte et actualité, Paris, Érudit Journal Philosophiques, Vol 30, Issue 1, 2003, p. 3–17. - https://www.erudit.org/en/journals/philoso/2003-v30-n1-philoso699/007729ar/

– الكتاب الثاني: فلسفة العلوم الإستقرائية Philosophie des sciences intuitives 1840 لوليام وويل William Whewel (1794-1866) . من خلال هذا الكتاب يكون ويويل قد أدخل عبارة فلسفة العلوم في لغة التعبير الفلسفي الإنجليزي، ويعتبر هذا الكتاب، صورة كاملة عن جوهر الشروط لكل معرفة واقعية، والتي تخلصنا من كل الأوهام والتشويش.

لقد كان كتاب ويويل فتحا كبيرا على الذين جاءوا فيما بعد وأسسوا للأبستمولوجيا أمثال العالم الرياضي والابستمولوجي أنطوان كورنو Antoine Cournot (1801-1877)، من خلال كتابه: Traité de l'enchainement des idées fondamentales dans les sciences et dans l'histoire. 1861 وعبارة الفكر الأساسي توحي بالتأثير ويويل عليه. ومثلما هو معلوم، يعتبر كورنو صاحب فكرة الصدفة Le hasard التي اعتبرت لمدة طويلة مناقضة لفكرة القانون العلمي.

كما أن تأثير ويويل امتد إلى إرنست ماخ Ernest Mach (1838-1916)، ولو أنه أقل حدة، من خلال كتابه الضخم: La mécanique : Étude historique et critique de son développement 1883 . والذي نجد فيه نقدا للمبادئ المطلقة النيوتونية، ومهد للميكانيكا النسبية التي ستظهر عند اينشتاين. وفي كتابه: La connaissance et l'erreur 1905 ينتقد العلماء في استعمالهم لمنهج الاستقراء كمنهج وحيد في البحث العلمي، واعتباره مجرد تصنيف وجمع للحوادث المعطيات من طرف الباحث، وأن هذا العمل ليس هو الإسراء الذي يقوم على كشف خصائص الظاهرة وإيجاد العلاقة بينها، وهو عمل أكثر تعقيدا من مجرد تصنيف المعطيات. ومن هذا يستنتج بأن تسمية العلوم الاستقرائية تسمية غير مبررة. Le nom des sciences inductives n'est donc pas justifié [6].

إن اللفظ الذي سجله بولونزانو في كتابه، يدفعنا إلى الإمعان فيه، إنه يطابق تماما في الألمانية لما يقال اللفظ الفرنسي المستوحى من اللاتينية الذي هو الأبستمولوجيا، ويعرف بنظرية العلم، وبالرغم من هذا، فإن المصطلحات الثلاث المستعملة في الفرنسية، أو الإنجليزية أو الألمانية لا تخضع لمبادلة بعضها ببعض، ذلك لأن منها ما احتفظ بأصوله القديمة (اللفظ الفرنسي ابستمولوجيا)، فهو أكثر عمقا واتساعا من المعنى الذي اتخذه مثلا اللفظ الألماني (نظرية المعرفة) على العموم. كما أن له طابعا أكثر فلسفي.

– على العموم هنا من يرجع ظهور كلمة ابستمولوجيا في ترجمة كتاب: مقالة في أسس الهندسة Essai sue les fondements de la géométrie لبرتراند راسل.

6 Dominique Lecourt, La philosophie des sciences, in, Une philosophie de crise : Ernst Mach, col, Que sais-je ?, 5ème Edition, Paris, puf, 2010, pp 20-24.

هذا المصطلح تأقلم بسرعة، بحيث يقول إميل مايرسون Émile Meyerson في كتابه: 1908 Identité et réalité حول هذا الكتاب:" هذا الكتاب ينتمي، بواسطة المنهج، إلى مجال فلسفة العلوم أو الابستمولوجيا، وفقا لكلمة قريبة، والتي تميل إلى أن تصبح شائعة"[7].

من الصعب بما كان التمييز أو رسم حدود تفصل المصطلحين فلسفة العلوم والابستمولوجيا، فقط في نظري أن فلسفة العلوم أعم من الابستمولوجيا، بل الأكثر من ذلك تحتويها، لأن هذه الأخير موضوعها العلوم فقط، بينما فلسفة العلوم قد تتعدى إلى ذلك بحيث تتناول العلم من الوجهة الأنطولوجية، والأبستمولوجية، والأكسيولوجية، وهذا يجعل منها أكثر سعة. لكن الملاحظ في الغالب هو استعمال المصطلحين بنفس المعنى عند كثير من الدارسين أو حتى المفكرين، والدليل، حين نرجع إلى المعجم الفلسفي لأندري لالاند فإننا نعثر على مفهوم الأبستمولوجيا بمفهوم فلسفة العلوم، لكن؟ بحيث يقول: "هذه الكلمة تعني فلسفة العلوم، لكن، بمعنى أكثر دقة"[8].

Ce mot désigne la philosophie des sciences, mais avec un sens plus précis.

وهذا يحيلنا، إنطلاقا من اعتبار أن كلاهما يشبه الآخر، إلى تمييز ، الابستمولوجيا عن نظرية المعرفة، لأنها كثيرا ما تستعمل بنفس المعنى.

– الابستمولوجيا ونظرية المعرفة:

من الصعب رسم حدود تفصل الأبستمولوجيا عن الفروع المجاورة لها، مثل أي مسألة تعريف أخرى، لأن ذلك لا يتعلق بمسألة الصحة والخطأ، لكن بمسألة الموافقة. ولكي نفصل في القضية، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار– في الوقت نفسه– الاستعمال الشائع، والأكثر عقلانية. حينما يتّحد هذين الشرطين، يمكن أن نقيم تعريفا، أي تحديد هذا المجال. تكمن الصعوبة أيضا، في أن الحدود المرسومة تبقى غامضة، وينبغي، في هذه الحالة أن نحفظ في أذهاننا هذا الحذر ونحن نقرأ ما يلي:

الواقع، أن علاقة الأبستمولوجيا بنظرية المعرفة هي علاقة النوع بالجنس، الأبستمولوجيا محددة بهذا الشكل من المعرفة والذي هو المعرفة العلمية. إلا أن، التمييز يحتجب (يختفي) حينما نجد الجنس يتحول إلى هذا النوع الوحيد، مثلما هو الشأن عند المؤلفين الذين يخصون المعرفة العلمية باسم المعرفة، وما عدا ذلك هو عبث لغوي من دون مغزى.

هذه وجهة نظر – على سبيل المثال– الوضعيين المناطقة الجدد في مدرسة فيينا، وتبقى نفسها (أي وجهة النظر) الوضعية المنطقية Empirisme logique فيما بعد. وهكذا لا يعترف كارناب Rudolf Carnap (في الأول كان يقبل) بنظرية المعرفة إلا إذا تحولت إلى ابستمولوجيا، أو بأكثر تدقيق، إلى تحليل منطقي للعلم.

---

7 E.Meyerson, Identité et réalité, Introduction, Paris, Vrin, 1951, p1.

8 André Lalande, Vocabulaire technique et critique de la philosophie, Vol, 4ème édition, Paris, Quadrige, 1997, p293.

في فرنسا يتفق روجيه L.Rougier (1889-1982) في هذه النقطة مع التجريبية المنطقية، ويرى أن كتابه: بحث في المعرفة Le traité de la connaissance 1955 أولى أن يسمى بنية المعرفة العلمية Structure de la connaissance scientifique وكما يعلن عن ذلك في الخاتمة حول "نظرية المعرفة الجديدة": "لا توجد معرفة أخرى غير المعرفة العلمية"[9].

الملاحظ هنا أن مثل هذه الدعوى (الأطروحة)، هي في أساسها دعوى فلسفية وليس علمية محضة، ومن هنا يمكن التساؤل: هل من حق العلم أن يرسم لنفسه حدودا وأن يقبل أو يرفض هذا اللون أو ذاك من ألوان المعرفة؟ إن فكرة وجود علوم خاطئة أو باطلة، هي مسألة بث فيها الأقدمون، والمحدثون، فقد ادعى ديكارت من قبل بأنه لن يكون مخدوعا من طرف وعود الكيميائي، ولا من طرف نبوءات المنجم، ولا من طرف خدعة الساحر[10]، ومع ذلك أخضع العلم للميتافيزيقا، مثل الشجرة التي تتغذى من جذورها.

لا يشكل هذا مشكلا علميا، حتى نعرف إن كانت هناك معرفة خارج مجال العلم. نفس السؤال يتعلق بنظرية المعرفة العامة التي من شأنها وضع المعرفة العلمية بين الأشكال الأخرى الممكنة للمعرفة. وفي هذه الحالة، يكون من حقها التساؤل:

هل توجد أساليب أو وسائل أم لا للمعرفة تسلك طرق غير تلك التي يسلكها العلم؟

البعض يعترف بقدرات أو ملكات غير عقلية أو عقلية جزئيا: مثل القلب الذي يمتلك أسبابه المعنوية التي يجهلها العقل، :ما أن للعقل أمور لا يفهمها القلب، وهناك أمور للقلب لا يدركها العقل. كما أن هناك من يتحمس لحدس L'intuition باعتباره غريزة متوقدة بذكاء، الشيء الذي يبرر شرعية أو صحة المعرفة الصوفية أو الميتافيزيقية.

البعض الآخر، يقترح استخدام قدراتنا العقلية نفسها في وجهة أخرى، نحو "حدس الماهيات" وتشييد علم ظاهراتي (ظواهري) Phénoménologique وهو الشأن بالنسبة لهوسرل، إلى جوار العلم الواقعي، حتى إن اعترضنا على مثل هذه الدعاءات (الاتجاهات)، فإننا نستند إلى فلسفة معينة للمعرفة.

ثم أن التمييز النظري بين الإبستمولوجيا ونظرية المعرفة في الغالب لا يراعي الواقع وأبعد أن يكون ملاحظا دوما.

في أول الأمر استبدلت عبارة نظرية المعرفة بكلمة ابستمولوجيا لأن هذه الأخيرة سهلة الاستعمال. وقد جرت محاولات لمعالجة هذا النقص وذلك باصطناع كلمة الغنوصية Gnoséologie (أي النظرية العامة للمعرفة).

---

9 Rougier.L, Le traité de la connaissance, Edition : Imprimeur –Libraire, Paris, 1955.
- Jean-Claude Pont, « Coup d'oeil sur l'oeuvre de Louis Rougier », *Philosophia Scientiæ* [En ligne], CS 7 | 2007, mis en ligne le 08 juin 2011, consulté le 15 mars 2021. URL : http://journals.openedition.org/philosophiascientiae/426; DOI : https://doi.org/10.4000/philosophiascientiae.426

10 ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، الجزء الأول، الهيئة المصرية للكتاب، 1985.

من هنا نفهم لماذا مثلا نأخذ نظرية المعرفة كمرادف للأبستمولوجيا؟ ذلك لأن في تطوير المجتمعات، كما في نمو الفرد، تؤسس المعرفة وتبنى تدريجيا، دون بلوغ حالة الكمال[11].

في هذه الشروط، فإن كل ابستمولوجيا، سواء تعلق الأمر بتاريخ العلوم أو علم النفس الطفل، فإنها تتسع حتما إلى نظرية في المعرفة، بحيث أنها تتبع كل المراحل التي بواسطتها يمكن أن نقول اليوم أن هذه المعرفة علمية، بمعنى أن نعتبر المعرفة تحت أشكال أنها معرفة "قبل علمية" Pré scientifique ، والتي مع ذلك لا نستطيع أن ننكر كل قيمة معرفية منطقية من حيث أنها أعدت الجهود لظهور الابستمولوجيا.

إن هذا التشابه العميق والبسيط بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة، وإن كان لا يتفق اليوم مع التطبيق، فإنه يبقى حي عند الكثير من المفكرين، الذين يقبلونه من دون مناقشة كما هو الحال في الموسوعات الفلسفية.

– فلسفة العلوم وتاريخ العلم:

إن محور اهتمام فلسفة العلوم هو العلم، وهناك كثير من المباحث التي تتقاسم معها موضوع الدراسة كتاريخ العلم مثلا، مما يدفعنا إلى البحث عن وجه العلاقة بينهما.

يعتبر تاريخ العلوم من المباحث الجديدة نسبيا في مجال الدراسة، لذلك لا نجد له تعريفا مضبوطا في الموسوعات والمعاجم. ما يمكن قوله هو أن الاهتمام بتاريخ العلوم كان في القرن الثامن عشر من طرف الموسوعيين، ولو أنه كان مرتبطا بسرد للسِّير الذاتية للعلماء وانجازاتهم الفردية، ثم تعمق البحث فيه شيئا فشيء على يد أوغست كونت والمدرسة الوضعية بشكل عام[12]. خاصة عند محاولة تصنيف العلوم، وإن كانت العملية لا تهدف إلى تحديد الشروط الذاتية والموضوعية التي ساعدت على بروز تلك الأفكار، بل كان الهدف هو تمجيد الانتصارات التي يحققها الإنسان وتسجيل نجاحاته، وطريقة حله للمشكلات التي كانت تواجهه.

إلاّ أنه مع تقدم العلوم وبروز أهمية تتبع مسار تطورها خاصة لدى الحكومات، بدأ هذا المبحث (تاريخ العلوم) يعرف انتشارا واعتراف الجامعة به كتخصص، وقد خصصت له كراسي شغلها كبار الفلاسفة والعلماء في فرنسا أمثال: بيار دوهيم، غاستون باشلار، وجورج كنغلام [13]. ومنه بدأ مؤرخو العلم في دراسة الأحداث الكبرى التي ساعدت على تقدم العلوم، وكذلك وضعت برامج للبحث، والتي أدت إلى كشوفات مهمة[14].

---

11 Robert Blanché, L'épistémologie, pp 14-15.

12 Georges Gusdorf, Les sciences humaines et la pensée occidentale, Tome1, De l'histoire des sciences à l'histoire de la pensée, Paris : Les Éditions Payot, 1977, Collection : Bibliothèque scientifique. 1ère édition, 1966. pp 121-131.

13 دونالد جيليز، فلسفة العلم في القرن العشرين، ترجمة، حسين علي، ط1، التنوير، 2009، ص 21.

14 المرجع نفسه، ص ص 21-22.

من هنا بدأت ملامح تاريخ العلم تتحدد، وبدأ بعض المفكرون التنقيب والحفر في النصوص القديمة (العلم اليوناني). ولعل كتاب وويل فلسفة العلوم الاستقرائية يكون قد لفت أنظار جورج سارتون حين يقول: <<إذا تركنا جانبا تواريخ العلوم التي ألفت في القرن الثامن عشر، والتي كانت في الحقيقة جد سطحية ومخلخلة، بما فيها تاريخ الرياضيات Histoire des mathématiques لمونتيكلا Montucla Jean- Etienne (1758) فإن أول تاريخ حديث هو تاريخ العلوم الاستقرائية للأب وليم وويل والذي وصل إلى مرتبة مؤلف كلاسيكي خلال الفترة الفكتورية، بل وبعد ذلك أيضا>>[15].

لقد ظهرت الحاجة الملحة لهذه الدراسات، خاصة بعد التطور الحاصل في مجال الاكتشافات العلمية المتتالية، مثل الفيزياء، الرياضيات، والبيولوجيا وحتى في العلوم الإنسانية، وذلك بمحاولة توثيق هذه الإنجازات المتتابعة.

لا يمكن تصور حياة فكرية من غير فلسفة فهي حاضرة في مجال الأخلاق، والدين، والفن، كما أنها حاضرة في مجال العلوم. فهي تهتم بكل القيم الفكرية لعصرها، إما لتزكيتها، أو لنقدها، أو لتحويلها. فالعلم وتاريخه يرتبط بشكل جذري بالفلسفة، بل بأحد أهم مباحثها وهو فلسفة العلوم أو الإبستيمولوجيا فتاريخ العلوم والإبستمولوجيا مبحثان متداخلان، والعلاقة بينهما حميمية إلى حد كبير. وإذا كانت كلمة ابستيمولوجيا حديثة، فإن الشيء الذي تعنيه ليس قديما جدا. ذلك أن كل فلسفة تتضمن نوعا من التصور للمعرفة، أو تقتضي إدراكا أكيدا للمعرفة.

لا شك أن وليم ويل يكون قد فتح مسلكا نحو هذا النوع من الدراسات (الإبستيمولوجية)، (مثلما أشرنا على ذلك من قبل)

من خلال ما سبق يمكن القول بأنه لا يمكن تصور تاريخ حقيقي للعلوم إلا في علاقته الصميمية بالإبستمولوجيا، فتاريخ العلوم ليس فقط ذاكرة للعلم، بل هو أيضا مختبر للإبستمولوجيا، بل أن الضرورة متبادلة هنا.

تاريخ العلم أربعة أنواع يميزها إميل بوترو Étienne Émile Marie Boutroux (1845-1921)، وقد تحدث عنها محمد عابد الجابري، وهي:

- تاريخ العلم الذي يهتم بالبحث الوثائقي.
- تاريخ العلم الذي يهتم بجمع النظريات.
- تاريخ العلم الذي يُعنى بالبحث عن موطن الاكتشافات العلمية الكبرى.
- تاريخ العلم الذي تختلط فيه الدراسات الأبستمولوجية بأنواع تاريخ العلم السابقة، وهو الذي يساعد على تتبع الأسس الحقيقية للفكر العلمي، معتمدا في ذلك على النقد والتمحيص[16].

---

15 G. Gursdorf, De l'histoire des sciences à l'histoire de la pensée, p. 43.

16 محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، ط8، مركز دراسات الوحدة العبية، بيروت، لبنان، 2014، ص ص 41-42.

هذا النوع الأخير هو الذي يهمنا، لأنه يتداخل في عمله مع فلسفة العلوم أو الابستمولوجيا، وفي هذا المجال، يعبر بوترو عن العلاقة بينهما في قوله:" إن تاريخ العلم هو المقدمة الطبيعية لفلسفة العلوم". أي أن تاريخ العلوم هو مختبر الأبستمولوجيا. ومثلما أن تاريخ العلم ضروري بالنسبة للابستمولوجيا، فإن هذه الأخيرة ومن خلال نظرتها الكلية للعلوم، وفي أبعاده من: منهج، ومبادئ، ونتائج، ومعيار الصدق، وبعد اجتماعي، فإنها (الابستمولوجيا) تساعد مؤرخ العلوم على فهم أعمق للطريقة التي بها ظهرت النظريات العلمية وتكونت.

– الابستمولوجيا والميتا–علم Méta-science:

نلاحظ اليوم في كثير ن الدراسات حول العلم توظيف لمصطلح جديد وهو ميتا علم[17] (ما بعد العلم) Méta-Science بعد ما استحدثت ألفاظ مثل ميتا رياضيات Méta-mathématique أو ميتا منطق Méta-logique. وتطلق هذه المصطلحات على كل دراسة تأتي بعد أي علم، وتستند إليه، وتأخذ بذورها كموضوع وتتساءل حول مبادئه، وأسسه، وبنياته، وصحته (صلاحيته)، وبُعده الموضوعي، وغيرها. بهذا يمكن القول أن الابستمولوجيا لا تتميز بالشيء الكثير عن هذا المصطلح الأخير (ميتا علم).

– خلاصة القول: بهذا الارتباط بين الصلاحية العلمية والتفكير الفلسفي، وهو في الحقيقة ارتباط ضروري تطلبته حالة العلم نفسها، وأن التخصيص العلمي الناتج عن تطور العلم أرجعه أكثر فأكثر ذا قيمة، تكونت فلسفة العلوم أو الابستمولوجيا كفرع أصيل مستقل.

17 François Maurice, Métascience : pour un discours général scientifique https://www.researchgate.net/publication/342993271_Metascience_pour_un_discours_general_scientifique

– مراجع المحاضرة:

1 محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 2002، ص24.

2 A.M. Ampère Essai sur la philosophie des sciences, ou exposition analytique d'une classification naturelle de toute les connaissances humaines, Chez BACHELIER, IMPRIMEUR-LIBRAIRE POUR LES SCIENCES, paris, 1834, pp 3-6.

3 August Comte, Cours de philosophie positive, Edition numérique, Vol 1, LES PRÉLIMINAIRES GÉNÉRAUX ET LA PHILOSOPHIE MATHÉMATIQUE, ROUEN FRÈRES, LIBRAIRE-ÉDITEUR, 1830 p 48.

4 Robert Blanché, L'épistémologie, Col , Que s'ais-je, Paris, puf, 1972, p 5.

5 S.Lapointe, Bernard Bolzano. Philosophie de la logique et théorie de la connaissance **,** Introduction : Bernard Bolzano : contexte et actualité, Paris, Érudit Journal Philosophiques, Vol 30, Issue 1, 2003, p. 3–17. - https://www.erudit.org/en/journals/philoso/2003-v30-n1-philoso699/007729ar/

6 Dominique Lecourt, La philosophie des sciences, in, Une philosophie de crise : Ernst Mach, col, Que sais-je ?, 5ème Edition, Paris, puf, 2010, pp 20-24.

7 E.Meyerson, Identité et réalité, Introduction, Paris, Vrin, 1951, p1.

8 André Lalande, Vocabulaire technique et critique de la philosophie, Vol, 4ème édition, Paris, Quadrige, 1997, p 293.

9 Rougier.L, Le traité de la connaissance, Edition : Imprimeur –Libraire, Paris, 1955.
- Jean-Claude Pont, « Coup d'oeil sur l'oeuvre de Louis Rougier », *Philosophia Scientiæ* [En ligne], CS 7 | 2007, mis en ligne le 08 juin 2011, consulté le 15 mars 2021. URL : http://journals.openedition.org/philosophiascientiae/426; DOI : https://doi.org/10.4000/philosophiascientiae.426

10 ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، الجزء الأول، الهيئة المصرية للكتاب، 1985.

11 Robert Blanché, L'épistémologie, pp 14-15.

12 Georges Gusdorf, Les sciences humaines et la pensée occidentale, Tome1, De l'histoire des sciences à l'histoire de la pensée, Paris : Les Éditions Payot, 1977, Collection : Bibliothèque scientifique. 1ère édition, 1966. pp 121-131.

13دونالد جيليز، فلسفة العلم في القرن العشرين، ترجمة، حسين علي، ط1، التنوير، 2009، ص 21.

14المرجع نفسه، ص ص 21–22.

15 G. Gursdorf, De l'histoire des sciences à l'histoire de la pensée, p. 43.

16 محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، ط8، مركز دراسات الوحدة العبية، بيروت، لبنان، 2014، ص ص 41–42.

17 François Maurice, Métascience : pour un discours général scientifique https://www.researchgate.net/publication/342993271_Metascience_pour_un_discours_general_scientifique

2- المحاضرة الثانية

مجال ووظيفة فلسفة العلوم

يتفق الدارسون على أن مصطلح فلسفة العلوم أو الابستمولوجيا يرتبط بشكل أساسي بالنزعة الوضعية، وإن كانت علاقة الفلسفة بالعلم قديمة، نجدها خاصة في النزعة التجريبية الإنجليزية، التي يمثلها بيكون، وجون لوك، وهيوم.

إلا أنه يعتقد بأن المصطلح يعود إلى الفيلسوف والعالم الاجتماعي أوغست كونت، والذي عرّف هذا النشاط الجديد في قوله:" إنها الدراسة الخاصة للمفاهيم العامة لمختلف العلوم من حيث أن هذه الدراسة خاضعة لمنهج واحد، ومن حيث أنها أجزاء مختلفة لمبحث عام"[18].

تعتبر فلسفة العلوم فرعا أو مبحثا من مباحث الفلسفة، والعلم فيها هو المادة الخام، أو الموضوع الذي يخضع لبحث فلسفي. ففلسفة العلم ليست ممارسة للعلم بل هي حديث فلسفي عن العلم، أي أنها لا تقدم معارف علمية، بل أنها تتفلسف حول تلك المعارف، وحول المناهج التي توصلت إليها. فإذا ما فرغ رجال العلم من بحوثهم وتحدثوا عن أهميتها ومكانتها في تاريخ العلم وأثرها المتوقع في حياة الإنسان.

من مجالات فلسفة العلوم، منها: تاريخ العلم، الذي يتتبع تطور المشكلات العلمية وتطورها، وهناك: سيكولوجية العلم، التي تبحث في العمليات النفسية، العقلية منها والانفعالية، التي تتعلق بالكشف العلمي، ومن المجالات كذلك: سوسيولوجية العلم (علم الاجتماع العلم)، الذي يدور حول التفسير الاجتماعي لتطور نظريات العلم، وانعكاساتها على الأنماط الثقافية، والاقتصادية، والسياسية للمجتمع.

والملاحظ أن فلسفة العلم في بلادنا تدرس ضمن مادة المنطق، وكأن فلسفة العلم جزء لا يتجزأ من دراسة المنطق، ولا مكان لها خارج دروسه. لا شك أن المنطق أداة مهمة للبحث في فلسفة العلوم، لكنه لا يكفي وحده لمعالجة فلسفة العلم في غياب الإلمام بعلوم الطبيعة والإنسان، والافتقار إلى منظور فلسفي شامل.

من هنا يمكن استنتاج عموما، أن فلسفة العلوم هي أحد فروع الفلسفة الذي يهتم بدراسة الأسس الفلسفية والافتراضات والمضامين الموجودة ضمن العلوم المختلفة، بما فيها العلوم الطبيعية مثل: الفيزياء، والكيمياء، البيولوجيا وغيرها من العلوم الصورية الرياضية والمنطق. والعلوم الإنسانية. بهذا المفهوم تكون فلسفة العلوم وثيقة الصلة بالأبستمولوجيا والأنطولوجيا فهي تبحث عن أشياء مثل: طبيعة وصحة المقولات العلمية، طريقة إنتاج العلوم والنظريات العلمية، طرق الاستنتاج والاستدلال التي تُستخدم في فروع العلم كافة، وأخيرا تضمينات هذه المقولات والطرق والمناهج العلمية على المجتمع بأكمله وعلى المجتمع العلمي خاصة.

---

18 أوغست كونت، دروس في الفلسفة الوضعية

في نظر غوسدورف وظيفة البستيمولوجيا ينبغي أن تكون عبارة عن أداة الوعي الفلسفي أولا وقبل كل شيئ[19].

– مسائل فلسفة العلوم:

من الموضوعات التي تحاول فلسفة العلوم مناقشتها نجد منها مثلا:

– مسألة الحقيقة العلمية والعقلانية.

– مسألة المناهج والأدوات المتبعة في تحصيل المعرفة.

– مسألة الموضوعية والذاتية والنسبية.

– علاقة العلوم الطبيعية بالعلوم الإنسانية، من حيث المناهج والدقة العلمية، وغيرها، أي دراسة العلم ضمن علاقاته مع مختلف القيم الإنسانية.

– مسألة اللّغة العلمية وطرائق تحليلها، أي تحليل المنطقي للّغة العلمية.

– تشييد فلسفة طبيعية انطلاقا من نتائج العلم.

على العموم، فلسفة العلوم تدخل الدارس في كثير من الحقول التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع الموضوع الذي يبحث فيه العلم، وفي هذا يقول جيلينز:" إ، فلسفة العلم ليست –كما يبدو للوهلة الأولى– بحثا ضئيل الشأن، ولا صاحبها باحثا معزولا في "برج عاجي"، بل إن قضايا العلم كثيرا ما تمس مجالات، السياسة والدين مسا مباشرا، وبالتالي فهي تبعث الروح وتجدد الحيوية لهذه المجالات"[20]، لذلك نجد الكثير من الدارسين يستعملون مصطلح أبستمولوجيا بدل مصطلح فلسفة العلوم وهذا طلبا للدقة والتحديد.

–مشكلة المنهج:

يقدم لنا ديكارت في كتابه "مقال في المنهج"[21] 1637 مبادئ (منهج) تعمل على توجيه العقل في مجال العلوم، وترتكز هذه الطريقة (منهج) على منطلقات عقلانية تعمل على رد المعقد من الأفكار إلى ابسطها، أي (التحليل)، وعلى العكس من ذلك، بالنسبة للإدغار موران Edgard Morin في كتابه المنهج Méthode بأجزائه الخمسة 1977-2001، والذي قدّم لنا فيه مشروع "ترميم الفكر" بغية القبض والوقوف على تعقيد الظواهر الإنسانية. هو ذا المعنى الأول الذي يمكن أن نعطيه لكلمة "منهج": إنه الطريقة العامة، أو الخطوات العامة، للتفكير في المجال العلمي. لقد عمل العالِم الاجتماعي دوركهايم Durkheim في هذا الاتجاه، حين قدّم لنا في كتابه: قواعد المنهج في علم الاجتماع 1895.

---

19 Gusdorf.G, introduction aux sciences humaines : Essai critique sur leurs origines et leur développement, Edition électronique, 1974, bibliothèque.uqac.ac, p7.

20 حسين علي، مقدمة لكتاب دونالد جيليز، فلسفة العلم في القرن العشرين، ترجمة: حسين علي، دار التنوير، لبنان، ط1، 2009، ص ص 20-21.

21 ديكارت، مقالة المنهج

من جهة أخرى، نقصد بالمنهج بعض تقنيات التحري في مجال البحث. في هذه الحالة، يمكن الحديث عن:

- منهج التكميم (الإحصاء، استبيان، مقارنة إحصائية، روائز...)
- منهج التنويع (قصة حياة، ملاحظة تساهمية، مقابلة غير موجهة....)

لا شك أن القرن 17 يمثل عصر التصحيح المنهجي، لذلك شكل منعرجا مهما في البحث عن أفضل الطرق للبحث عن الحقيقة[22]، وبذلك تجاوز ما كان يدور من سجال بين المدرسيين في الفكر المدرسي. كان هدف ديكارت هو إيجاد منهج شامل للبحث عن الحقيقة من خلال محاولة إقامة مذهبا فلسفيا لنفسه، وقد اعتبر آنذاك أسمى الحلول، وافضل السبل لتجاوز العقبات الابستمولوجية، لذلك شكل ما يكن أن نسميه، تحولا إبستيميا، وميتودولوجيا (معرفيا ومنهجيا)، وهذا ما يدل عليه كتابه " مقالة في المنهج" أو "حديث الطريقة" والذي يقول فيه:

"ولكني لا أخشى أن اقول ما أعتقته من أنني كنت كثير التوفيق، إذ ألفيت نفسي منذ الحداثة في بعض الطرق التي قادتني إلى أنظار وحكم، ألفيت منها منهجا، به يبدو لي أن عندي ووسيلة لزيادة معرفتي بالتدريج، وأن اسمو بها قليلا إلى أعلى درجة يسمح ببلوغها ما في عقلي من ضعف، وما في مدى حياتي من قصر، ذلك لأنني جنيت من ثمارات ذلك المنهج ما جعلني أحاول دائما في الأحكام التي أكونها عن نفسي، أن أميل إلى جهة الحذر أكثر من ميلي إلى جهة الغرور"[23].

بالرغم من هذه المحاولة إلا أن الفلاسفة والعلماء حديثا، أرادوا الاستفادة من المنهج المطبق في العلوم التجريبية من أجل تجاوز الكثير من المشكلات، وذلك بتبني الاستقراء (المنهج التجريبي)، والذي كان من دعاته فرنسيس بيكون F .Bacon من خلال كتابه الأرغنون الجديد Nouvel organon أو Novum organum 1620، كرد فعل على الأرغنون القديم أي المنطق الأرسطي، والذي اعتبره عقيم لأنه يحرص على تطابق العقل مع نفسه ليس إلا.

فإذا كان الاستقراء منهج العلوم المادية التي به تمكنت من تجاوز الكثير من المشكلات المعلقة، فإن هذا المنهج بالرغم من محاولة تكييفه مع بعض الظواهر (كالظواهر الإنسانية مثلا)، إلا أنه لم يمكن علماء هذا المجال من إدراك حقيقة هذه الظواهر. ويبقى المنهج اليوم في صميم النقاشات خاصة في مجال دراسة بعض ظواهر الكون، والإنسان على حد سواء، لذلك يقال اليوم **يتفوق المنهج عن العلم.**

---

22 ديكارت، قواعد لتوجيه الفكر، ترجمة سفيان سعد الله، دار سراس للنشر، تونس، 2001، ص 39.

23 ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، الهيئة المصرية للكتاب، 1985، ص، 163.

– الغاية:

تحاول كل العلوم على اختلاف طبيعتها وموضوع دراستها، ومنهج التعامل معه، والنتائج التي تهدف بلوغها، تحاول تقديم تفسيرات للظواهر التي تتناولها بالدراسة.

يبقى أن هذه الغاية، إذا كانت ممكنة في بعض العلوم، وهو الشأن بالنسبة للعلوم الطبيعية، فهي صعبة، وفي كثير من الأحيان مستحيلة التحقيق في البعض الآخر من العلوم، وهو حال العلوم الإنسانية والاجتماعية. ويجم عن ذلك إمكانية تحقيق الغايات كاملة بالنسبة لبعض العلوم، كعملية التنبؤ العلمي بحدوث الظواهر، أو مراقبتها، وهذه الغايات متعذر تحقيقها، خاصة في العلوم الإنسانية. لذلك نجد دلتاي Wilhelm Dilthey (1833-1911) يميّز بين الغايتين وذلك بتمييزه بين المنهجين، في العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية. بحيث ينسب التفسير كغاية للعلوم الطبيعية، والفهم كغاية للعلوم الإنسانية[24].

بالرغم من أن التفسير يبدو كهدف وحيد للعلوم إلاّ أن ليس كذلك، فإلى جانب التفسير L'explication هناك غايات أخرى، وهي **وصف** Description و **تصنيف** Classification الظواهر. لا يمكن تصور قيام نظرية علمية دون أنتكون لها القدرة الشارحة والتوضيحية للظاهرة.

هناك موقف لا يرى في غاية العلوم إلاّ تقديم تفسيرات للظواهر، مع إعطاء معنى للتفسير، إلاّ أن هناك من الفلاسفة من يعارض هذا الموقف أمثال دوهيم(دويم) Pierre Duhem (1861-1916) وذلك بتقديم معنى آخر للتفسير في كتابه La théorie physique « *Son objet et sa structurez* » 1906. ، التفسير بالنسبة له هو تجريد واقع المظاهر الذي تغطيها كالحجاب، لكي نرى هذا الواقع وجها لوجها في صورته العارية. فهو يعتقد أن الإدعاء بتقديم تفسير تام ويقيني للظاهرة، هو مجرد ضرب من ضروب النظرة الميتافيزيقية، لأن مفاتيح التفسير اليقيني للظواهر لا يوجد إلاّ في عالم الميتافيزيقى. هذا الموقف قريب من اعتقاد الفيزيائي أرنست ماخ Ernest Mach.

لو اعتبرنا أن غاية العلوم هي تقديم تفسير للظواهر، فلا بد من أن يتوفر في التفسير شروط، منها:

– أن يكون لغاية معرفية إبستمية.

–يقدم لنا تفسير لما يحصل (لما هو حاصل).

– أن تمكننا من التمييز بين التفسير الجيد والتفسير السيئ، الصحيح والخاطئ.

– أن يمكننا من التمييز بين التفسير العلمي وغيره من التفسيرات (الدينية، أو العامية)[25].

24Wilhelm Dilthey, Le monde de l'esprit, Paris, Edition Aubier, 1947, pp 150-151.

25 Anouk Barrerousse & Autre (Sous la direction), Précis de philosophie des sciences, Paris, Vuibert, 2011, pp 23-24.

مراجع المحاضرة:

1 أوغست كونت، دروس في الفلسفة الوضعية

2 Gusdorf.G, introduction aux sciences humaines : Essai critique sur leurs origines et leur développement, Edition électronique, 1974, bibliothèque.uqac.ac, p7.

3 حسين علي، مقدمة لكتاب دونالد جيليز، فلسفة العلم في القرن العشرين، ترجمة: حسين علي، دار التنوير، لبنان، ط1، 2009، ص ص 20-21.

4 ديكارت، مقالة المنهج

5 ديكارت، قواعد لتوجيه الفكر، ترجمة سفيان سعد الله، دار سراس للنشر، تونس، 2001، ص 39.

6 ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، الهيئة المصرية للكتاب، 1985، ص، 163.

7 Wilhelm Dilthey, Le monde de l'esprit, Paris, Edition Aubier, 1947, pp 150-151.

8Anouk Barrerousse & Autre (Sous la direction), Précis de philosophie des sciences, Paris, Vuibert, 2011, pp 23-24.

المحور الثاني: المشكلات الابستيمولوجية للعلوم الإنسانية

3- المحاضرة الثالثة:

المشكلات الإبستمولوجية العامة للعلوم الإنسانية

العلوم Les sciences humaines هي مجموعة من النشاطات والشعب العلمية والدراسات التي تتنوع من حيث موضوع دراستها، ومنهجها، وغاياتها، إلاّ أنها تهدف كلها إلى معرفة حقيقة الإنسان، لذلك تسمى بالعلوم الإنسانية، لأنها تفكير حول الكائن الإنساني، وحول أبعاده، خاصة منها المعنوية، سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي. وما دامت كذلك فهي تشكل موضوعا لفلسفة العلوم والابستمولوجيا أي للدراسة النقدية لها في كليتها ، وتسمى إبستمولوجيا عامة، أو لكل علم من علومها، وتسمى باللابستمولوجيا الخاصة.

المقصد بالابستمولوجيا العامة، أي تلك الدراسة النقدية لكل العلوم الإنسانية، من ناحية المبادئ والمناهج والنتائج، وكذا العمل المشترك بين كل هذه العلوم، وعلاقتها بالتيارات الفلسفية والدينية، وكذا مشكلة تأخرها إذا ما قورنة بالعلوم الأخرى الطبيعية.

أ) الموضوع:

بقدر ما يبدو موضوع العلوم الإنسانية موحد وهو الإنسان في بُعده المعنوي، إلا أن كل علم من هذه العلوم يهتم بدراسة بعد من أبعاد الإنسان (النفسي، والاجتماعي، الاقتصادي، التاريخي، الأنثروبلوجي... وغيرها من الأبعاد). هذا الأمر لا يؤثر على درجة العلمية في هذه العلوم، لكن، من ناحية أخرى، حين نتأمل في موضوع العلم الواحد، مثلا البعد النفسي موضوع علم النفس، والظاهرة النفسية سواء كانت عقلية، أم انفعالية مثل: الذاكرة، والذكاء، أو الفرح، والخجل، هي ظواهر **ليست ذات طبيعة نفسية خالصة**، بمعنى، أن أسبابها، ونتائجها قد تكون ذات طبيعة أخرى غير طبيعتها، وهذا ربما يزيد تعقيدا في الدراسات النفسية لمثل هذه الموضوعات.

مثال آخر: في علم الاقتصاد، إذا أخذنا الشغل أو العمل، من ناحية هو ظاهرة اقتصادية، وفي الوقت نفسه يمكن اتباره ظاهرة اجتماعية، لأنه يدخل ضمن العلاقات الاجتماعية، وهو كذلك ظاهرة دينية، فالعمل عبادة، وهو ظاهرة نفسية، لأن العمل يمكن أن يكون طريقة لعلاج الأمراض النفسية.

ما يصدق على علم النفس، وعلم الاقتصاد، يمكن تعميمه على كل العلوم الإنسانية لأن موضوعها الظاهرة الإنسانية وهي بطبيعتها معقدة سواء من ناحية الخصائص، أو من ناحية الدراسة:

- إنسانية: تتعلق بالإنسان وبجانبه المعنوي على ألخص.
- كيفية: وليست مادية، فهي قابلة للوصف والفهم ولا تقبل القياس الكمي في أغلب الأحيان.
- متغيرة: لا تثبت على حال واحدة، فهي ليست مماثلة للظاهرة الطبيعية.

– تطغى عليها الذاتية: تابعة للذات غير مستقلة عنها مما يصعب من تناولها تناولا موضوعيا، وهذا بحكم طبيعتها (إنسانية).

تشكل طبيعة الموضوع المعقدة إحدى المشكلات الأساسية التي تساهم بشكل ملحوظ في تأخر الدراسات في مجال العلوم الإنسانية وتطورها.

ب) المنهج:

وهو طريقة التعامل مع موضوع الدراسة أو الظاهرة الإنسانية، و بفعل تعقيد هذه الأخيرة، فهي تدفع العلماء إلى توظيف مختلف الطرق للكشف عنها. من جهة أخرى تعدد المدارس في العلم الواحد، ولّد نوع من تعدد المناهج، بالرغم من أن الظاهرة واحدة. إن عدم اتفاق علماء التخصص الواحد، يزيد من تعقيد الأمور، كما يرفع درجة الشك في علميته. مثال ذلك تعدد مدارس علم النفس، حتى قيل فيه " كثير المناهج قليل النتائج"، والشيء نفسه قيل عن علم الاجتماع.

للعقلانية في العلوم الإنسانية شروط مثلما يتحدث عنها كلود ليفي ستروس في كتابه الأنثروبولوجيا البنيوية[26]. Anthropologie structurale 2 منها القدرة على التجريب، وهي إشارة إلى إمكانية، تطبيق نفس منهج العلوم الطبيعية في تقصي الحقائق العلمية، هل هذا ممكن؟

– أهم المناهج المستخدمة في العلوم الإنسانية

– منهج العلوم الإنسانية بين الفهم والتفسير explication et compréhension وقد حاول دلتاي Dilthey فك هذا الإشكال بتمييزه بين الطريقين، والوقوف على نتيجة أن الظواهر الطبيعية تخضع لمنهج التفسير في حين تخضع الظواهر الإنسانية لمنهج الفهم[27].

– المنهج المقارن Méthode comparative إميل دوركهايم Durkheim فهو بمثابة المنهج التجريبي بالنسبة للعلوم الطبيعية، استعمله في دراسته لظاهرة الانتحار.

– منهج المقابلة méthode de l’entretien أو منهج الاستبيان Questionnaire ويوظف من أجل الحصول على عينات تمثيلية، في مختلف المجالات خاصة في الاقتصاد، أو فيما يتعلق بالاستهلاك.

---

26 Claude Lévi-Strauss, Anthropologie structurale deux, Paris, Plon, 2015.
27 Wilhelm Dilthey, Le monde de l'esprit: Die geistige Welt, Trad : M. Remy, Vol 2, Aubier, 1947, p 150-151.

1– في علم الاجتماع:

– المنهج الإثني Ethnométhodologie هو دراسة الأساليب التي يستخدمها الناس لفهم وإنتاج النظام الاجتماعي الذي يعيشون فيه. ويسعى عمومًا إلى توفير بديل للمناهج السوسيولوجية السائدة. ومنه طريقة كسر الروتين La méthode du breaching.

– منهج التحليل الاستراتيجي Analyse stratégique وهي الطريقة التي اسسها كل من ميشيل كروزير Michel Crozier (2013-1922) و إرهارد فريدبرغ Erhard Friedberg (1942-)، في كتاب L'Acteur et le Système, 1977 هذا المنهج يقوم على تحليل أداء المنظمات من خلال سلوك الفاعلين، ويقوم على الافتراضات التالية: لديهم هامش من الحري، ويقومون بتطوير استراتيجيات. يسجل سلوكهم في إطار علاقات السلطة، وتشكيل نظام العمل. كما يستعمل هذا المنهج في دراسة استراتيجيات المؤسسات.

– منهج التدخل الاجتماعي: نوع من المرافقة الاجتماعية وهو طريقة بها يُعِينُ العالم الاجتماعي الممثلين على فهم أكثر لمعنى فعلهم (دورهم الاجتماعي).

2– في علم النفس:

– السلوكية Behaviourisme واطسن

– المنهج الكلينيكي La méthode clinique دراسة الوضعيات الشخصية باللاعتماد على مقابلات معمقة.

– التحليل التفاعلي (تبادلي) Analyse transactionnelle مقاربة جد معاصرة من تأسيس الطبيب النفسي الكندي إريك بارن Éric Berne (1910-1970) استخدمت في العلاج النفسي وخاصة في أوروبا وأمريكا وذلك بالاعتماد على منهج التحليل الذي يجعل المريض يتجاوز الماضي (الأحداث الماضية) والتركيز على تحليل ما يمكن أن يمر به مستقبلا من أحداث لتمكنه من إرادة التغيير، وحرية الاختيار وذلك بتعلم ضبط النفس.

– المنهج التجريبي Méthode expérimentale بتأسيس أول مخبر لعلم النفس على يد العالم الألماني فونت Wilhelm Wundt سنة 1879. في دراسة بعض الظواهر النفسية خاصة منها الإحساس والإدراك.

3– في علم الأنثروبولوجيا:

– المنهج البنيوي Méthode structurale كلود ليفي ستروس Claude Lévi-Strauss

4– علم اللغة واللسانيات[28]:

– المنهج البنيوي ليفي ستروس، وديسوسير

28 Anouk Barrerousse & Autre (Sous la direction), Précis de philosophie des sciences, Paris, Vuibert, 2011, p 877.

– المنهج الوصفي، ومنهج التفسير، ومنهج التنبؤ في اللسانيات في القرن 20

5– علم الاقتصاد:

– منهج الاستقرائي والاستنتاجي عند ستيوارت ميل[29]

– منهج المقابلة méthode de l'entretien أو منهج الاستبيان Questionnaire خاصة فيما يتعلق بعملية الاقتصادية، الإنتاج ونوعيته، التوزيع وطريقة التوزيع، والاستهلاك، وفي هذه العملية تؤخذ بعين الاعتبار آراء أفراد المجتمع.

ج) النتائج: المقصود بالنتائج، الغايات التي يبلغها أي علم من العلوم الإنسانية في دراسته للظواهر. هل يمكن الحديث عن قوانين تتوصل إليها العلوم الإنسانية في دراستها، بمعنى آخر هل هنا نتائج يمكن أن نعتبرها حقائق علمية، والتي هي محل إجماع العلماء ذوي التخصص الواحد؟

بالنظر إلى خاصية النتائج في مجال دراسة الظواهر الطبيعية، وما يميزها من دقة، وصدق، فإن النتائج في العلوم الإنسانية لم ترتقي بعد إلى هذه المواصفات وذلك للأسباب التالية:

– صعوبة التعامل مع الظاهرة الإنسان بفعل تعقيدها.

– الاكتفاء بفهمها (منهج الفهم) مثملما يقترح البعض، دون تفسيرها(منهج العلوم الطبيعية)، وذلك لصعوبة الكشف عن أسبابها ونتائجها بشكل دقيق.

– النتائج غير قابلة للتعميم، وهذا يفقدها خاصية من أهم الخصائص العلمية (من مميزات القانون التعميم) التي تتجلى في القوانين.

– القانون غير قابل للتعميم إن لم يكن معبرا عن الظاهرة تعبيرا تجريديا (القانون هو عملية تجريد الظواهر). مثال ذلك، في علم الاجتماع، توصل **دوركهايم** إلى ضبط قانون يفسر ظاهرة الانتحار ومقتضاه، أن ظاهرة الانتحار تتناسب طرديا مع درجة الاندماج الاجتماعي، بعنا أن الأعزب يكون أكثر عرضة للانتحار من المتزوج، وهذا الأخير يكون أكثر عرضة للانتحار من المتزوج وله أولاد. هل هذا القانون قابل للتعميم؟

– إمكانية التنبؤ ضئيلة، وتكاد تكون معدومة في بعض العلوم الإنسانية.

– البعد الموضوعي: إن الكثير من هذه العلوم تفتقد إلى الموضوعية في الدراسة:

– علم النفس الظواهر ذاتية وشخصية، واسبابها متنوعة.

– علم التاريخ، تأثر الدارس بالنزعة التي ينتمي إليها وهو يؤرخ، مشكلة الذاتية.

– علم الاقتصاد، تغليب المصلحة، والربح والابتعاد عن الغايات العلمية.

---

29 Mill, J. S, Système de logique déductive et inductive, Paris, Les classiques des sciences sociales, 2002, p 492. Récupéré sur http://classiques.uqac.ca/classiques/Mill_john_stuart/systeme_logique/livre_1/systeme_logique_1.html

- الأنثروبولوجيان طغيان الانتماء الايديولوجي على فكر الباحث.

-علم الاجتماع، التأثر بالعلاقات والوضعيات الاجتماعية، صعوبة فهم الظاهرة الاجتماعية، وتوجيه المؤسساتي للبحث. وهكذا في كل العلوم تقريبا.

من هنا نستنتج صعوبة التعامل مع الظاهرة الإنسانية على اختلاف طبيعتها، وقد تؤدي هذه العوائق المنهجية إلى التقليل من قيمة هذه العلوم المعرفية، لذلك لا يدخر العلمان في هذا الشأن من جهودهم في الارتقاء بهذه العلوم إلى مصاف العلوم الطبيعية وذلك من خلال البحث عن أنجع الطرق والمناهج الملائمة لدراسة الظاهرة الإنسانية.

مراجع المحاضرة:

1 Claude Lévi-Strauss, Anthropologie structurale deux, Paris, Plon, 2015.

2 Wilhelm Dilthey, Le monde de l'esprit: Die geistige Welt, Trad : M. Remy, Vol 2, Aubier, 1947, p 150-151.

3 Anouk Barrerousse & Autre (Sous la direction), Précis de philosophie des sciences, Paris, Vuibert, 2011, p 877.

4Mill, J. S, Système de logique déductive et inductive, Paris, Les classiques des sciences sociales, 2002, p 492. Récupéré sur http://classiques.uqac.ca/classiques/Mill_john_stuart/systeme_logique/livre_1/systeme_logique_1.html

4- المحاضرة الرابعة:

مشكلة المناهج المستخدمة في العلوم الإنسانية ونظرياتها.

- صراع المناهج في العلوم الاجتماعية:

إن ما نطلق عليه عبارة صراع المناهج Conflit des méthodes كان سببا في تحريك آلة تفكير الجامعة الألمانية في نهاية القرن 19، وقد وقع في قبضة هذا الصراع كل من الفلاسفة، والمؤرخين، الاقتصاديين، والاجتماعيين وحتى الفيزيائيين، وصراع المناهج هو عبارة عن تعارض العالِم الاقتصادي الألماني غوستاف شمولر Gustav Schmoller (1838-1917)، الذي ينتمي للمدرسة التاريخية الألمانية EHA، والاقتصادي النمساوي كارل مينغر Carl Menger (1840-1921). لا يدور هذا الصراع حول علم الاقتصاد فحسب، بل حول العلوم الاجتماعية في كليتها، وهو مواجهة بين المنهج الاستنتاجي (الطريقة الاستنتاجية) لمنغير والمنهج الاستقرائي (الطريقة الاستقرائية) لشمولير

من أجل إثبات أنه لا تعارض بين النظرية وتاريخ الاقتصاد، يصف جوزيف شامبتر J.A.Schumpeter (1883-1950) العالم الاقتصادي النمساوي هذا الصراع (صراع المناهج) بتاريخ جهد ضائع، ومبدد، فهو عبارة عن مواجهة "تافهة" أو بالأحرى عقيمة بين الطريقتين[30]. وقد امتد هذا الصراع ليصل إلى مناقشة الأسس لعلم جديد خاص بالظواهر الاقتصادية[31]. يبقى أن السؤال الجوهري في هذا الصراع: هل هناك منهج خاص بالعلوم الاجتماعية؟ طبعا الذي أثار هذا النزاع هو كتاب منغير "بحوث في منهج العلوم الاجتماعية" Recherches sur la méthode des sciences sociales et en économie politique en particulier 1883، والذي يتبنى فيه فكرة أن على الاقتصاد أن يتحول إلى علم، وذلك باعتماد منهج استنتاجي Déductive صارم، ينتهي إلى قوانين اقتصادية مستنتجة من فرضيات ابتدائية حول سلوك الفرد، وتوازن السوق...وغيرها. هذا الموقف لم يعجب، شمولير Schmoller واعتبر مقترح منغي، مجرد خيال نظري، ونموذج الإنسان الاقتصادي[32] L'homme économique. ويرى بأن الفرد الحقيقي كائن معقد (مركب)، لا يُختزل في حسابات نفعية، ثم أن المنهج الاستنتاجي المجرد، في نظره، لا يصلح أن يكون طريقة في دراسة المجتمعات.

---

30 Schumpeter J.A, Esquisse d'une histoire de la science économique des origines jusqu'au début du 20ème siecle, Trad : G.B.Bousquet, Paris, Dalloz, 1962.

31 Mathieu Charbonneau, Le Methodenstreit : Plus qu'une « Querelle de méthodes », Revue : Notes de synthèse, Vol 1, N° 4, 2009.

- https://www.ieim.uqam.ca/IMG/pdf/Methodenstreit-CEIM-revision1-MCharbonneau.pdf

32 هو فرد نتاج مجتمع ليبرالي، ووسائلي، وهو الفرد المتحرر من الوحدة الأسرية والدينية، ناضج في تفكيره، وفي خياراته الأخلاقية، وهو الفرد الذي لا يكتشف معنى وغاية أفعاله إلا في ذاته. وهو في آخر المطاف "آلة حاسبة" Une machine à calculer وحدث (حقيقة) اجتماعي تام.

-Laval, C, L'homme économique: essai sur les racines du néolibéralisme, Paris, Gallimard, 2007.

انطلاقا من هذا النقد، يقترح شمولير توظيف منهج إنساني، واقعي، وإمبريقي (تجريبي)، مؤسس على وصف الوقائع الاقتصادية المحددة تاريخيا.

يُظهر هذا النزاع كم كانت، وربما لازالت مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية، والدليل: في الفترة نفسها أي سنة 1883 ظهر مؤلف دلتاي Introduction aux sciences de l'esprit Dilthey أين يقترح فيه منهجين علميين:

-التفسير L'explication: وهو منهج خاص بالعلوم الطبيعية، ويتمثل في محاولة الكشف عن اسباب ظاهرة ما طبيعية، بطريقة موضوعية، والكشف عن العلاقات السببية بين الظواهر، كما يهدف إلى انتاج القوانين.

-الفهم La compréhension وهو منهج خاص بالعلوم الإنسانية (علوم الإنسان)، أو علوم الروح، أين يكون الإنسان هو الباحث (الدارس)، وموضوع البحث (الدراسة) في الوقت نفسه. وتتمثل خطوات هذا المنهج في إعادة بناء، بواسطة التعاطف، المبررات المعقولة، والمعيشي للأفراد الفاعلين. يتبنى المنهج الفهمي خطوات افتراضية. في آخر المطاف ليس هناك فائز، ولا هناك خاسر في هذا النزاع

خلاصة القول:

يعتبر المنهج في العلوم الإنسانية، طريقة التعامل مع موضوع الدراسة أو الظاهرة الإنسانية، و بفعل تعقيد هذه الأخيرة، فهي تدفع العلماء إلى توظيف مختلف الطرق للكشف عنها. من جهة أخرى تعدد المدارس في العلم الواحد، ولّد نوع من تعدد المناهج، بالرغم من أن الظاهرة واحدة. إن عدم اتفاق علماء التخصص الواحد، يزيد من تعقيد الأمور، كما يرفع درجة الشك في علميته. مثال ذلك تعدد مدارس علم النفس، حتى قيل فيه "كثير المناهج قليل النتائج"، والشيء نفسه يقال عن علم الاجتماع.

-تكوّن العلوم الإنسانية ومفاهيمها

- المفهوم:

ما المقصود بالعلوم الإنسانية؟

في الغالب يختلط مفهوم العلوم الإنسانية بمفاهيم قريبة منه مثل: العلوم الاجتماعية، وعلوم الإنسان، إلاّ أن المؤكد أن هذه المفاهيم والمباحث تتقاطع فيما بينها.

تظم العلوم الإنسانية كل النشاطات العلمية التي تهتم بدراسة الكائن الإنساني، وهذا يجمع الكثير منها: لانثرولوجيا، والسيسيولوجيا، والسيكولوجيا، علوم اللّغة، العلوم السياسية، الديموغرافيا، الأركيولوجيا، ويضاف لها الفروع الجديدة: العلوم الدينية، علوم الاتصال، علوم التربية، العلوم المعرفية. وتجد الفلسفة مكانها بين العلوم الإنسانية لسببين:

- لأن العلوم هي وَرَثَةُ الفلسفة، وتحمل عنها مفاهيم حول الطبيعة الإنسانية.
- لأن كل من فلسفة العقل، وفلسفة العلوم، وفلسفة الأخلاق والسياسة، تقترب وتمول الكثير من النشاطات والمباحث.

حتى العلوم العصبية، والذكاء الاصطناعي، والعلوم المعرفية، تجد مكانا لها بين العلوم الإنسانية. لأن الإنسان ذو أبعاد بما في ذلك المادية، وكونه مخلوق من مادة مفكرة، فهي تدمج في الوقت نفسه ثقافة، وأفكار، وذاكرة وجينات، وعصبونات، وهرمونات، ويصعب علينا في الأخير تفسير كيفية تفاعل و امتزاج كل هذه المعطيات[33].

لقد حاول فلاسفة الأنوار من فيكو، وكانط إلى ديدرو وكوندرسييه خلال القرن 18 الدعوة إلى تأسيس علم جديد (علم الإنسان)، وفي هذا يقول دافيد هيوم:" ليس هناك سؤول مهم، لا يكون له حل في علم الإنسان"[34]. ويكتب دلامبير في الموسوعة عن برنامج لعلم الإنسان، وهنا ظهر هذا المصطلح لأول مرة. هذا المشروع، في الحقيقة، ما هو إلاّ مشروع أنثروبولوجي لا غير، لأنه يقف على ملاحظة، وجمع وقائع حول الإنسان (البدائي)، ودراسة كيفية تطوره شيئا فشيء بواسطة التربية والثقافة.

– المولد والنشأة:

تعتبر العلوم الإنسانية أحدث العلوم على الإطلاق، ذلك لأنها لم توجد إلا منذ قرنين من الزمن خلالهما استطاعت أن تؤسس لبحثها منهجيا وذلك عن طريق الملاحظة المباشرة، التجربة، والمخبر، تقيدا بالعلوم الطبيعية، وفي الوقت نفسه الاستقلال عن الفلسفة، وبالرغم من هذا (الاستقلال)، لم يمنع من تقاطع طريقيهما في كل مرة يصطدم فيها العقل العلمي بتعقيد الواقع الإنساني.

ينظر البعض أمثال جورج غوسدورف Georges Gusdorf من الفلاسفة على أن أولى المحاولات لتأسيس أبستمولوجيا خاصة بالعلوم الإنسانية، تمثلت في كتاب فيلهلم ديلتاي Wilhelm Dilthey (1833-1911)، مدخل إلى علوم الروح، وذلك بمحاولته الإحاطة بمختلف مباحث العلوم الإنسانية والبحث عن ما يلائمها من منهج الدراسة. فكل علم بالنسبة لديلتاي يتخذ الوقائع الاجتماعية والتاريخية موضوعا لدراستها، ستحمل اسم "علوم الروح"، أي العلوم الإنساني Les sciences humaines .

لقد أدرك ديلتاي، أحسن من أوغيست كونت، وستيوارت ميل، بأن الخمر الجديد، لا ينبغي وضعه في رَبٍ قِديمة، إن العلوم الإنسانية وهي في توسعها ترسم حدود لعالَم فكري جديد يستدعي النظر وفقا لأشكال جديدة من التفكير[35].

من هنا يمكن أن ندرك محاولة تصدي ديلتاي لتجاوزات النزعة الوضعية التي لطالما أخضعت العلوم الإنسانية إلى النموذج المعرفي "البراديغم" المفضل لديها كشرط بلوغ مصاف العلوم، وهو الفيزياء (العلوم الطبيعية)، دون أن تراعي خصوصيتها. فمثلما أن للإنسان أبعاده المادية، كذلك فإن له أبعاد روحية (زمانية) من ماض، وحاضر، ومستقبل، إلى

---

33 Jean-François Dortier, Les Sciences Humaines Panorama des connaissances, Edition sciences humaines, 2009, pp 21-22.

34 David Hume, Traité de la nature humaine, Livre I : De l'entendement (1739), version électronique, 2006, p9.
http://classiques.uqac.ca/classiques/Hume_david/traite_nature_hum_t1/hume_traite_nature_hum_t1.pdf

35 Gusdorf.G, introduction aux sciences humaines : Essai critique sur leurs origines et leur développement, Edition électronique, 1974, bibliothèque.uqac.ac, pp 39-40.
- http://www.uqac.ca/Classiques_des_sciences_sociales/

جانب علاقته بالآخرين، الأفراد، وعلاقته بالموجودات الأخرى، الله والطبيعة، فهو ذو بعد زماني ومكاني، مما يكسبه خاصية اساسية وهي أن له تجربة تاريخية.

خلال القرن التاسع عشرن اهتم الفلاسفة بالتاريخ وإمكانية وضوحه، لما له من أهمية، لأن بالنسبة لدلتاي، توجد الحقيقة في التراث اكثر من وجودها في أفق المستقبل، فلا توجد معرفة للإنسان، إلا تلك المتجذرة في التاريخ. إن ما هو مُتَأَصِلٌ في الطبيعة الإنسانية، سينكشف من خلال التاريخ. من هنا ندرك كم كان اهتمام دلتاي بالمعرفة التاريخية، ويظهر هذا من خلال مشروعه "نقد العقل التاريخي"، وبالتالي تطوير نوع من الفلسفة العامة، وإنتاج أسلوب فلسفي جديد، ذلك لأنه لا يمكن أن يتحقق تفكير فلسفي من غير الأساس التاريخي، وهذا ما يقره دلتاي، حين يفصح عن رغبته في إحياء التاريخ قائلا، :"بأنه باشر دراسة طبيعة وشروط الوعي التاريخي، بمعنى، نقد العقل التاريخي"[36].

في نفس الاتجاه، يقدم لنا هانز جورج غادامير Hans-Georg Gadamer (1900-2002)في كتابه الحقيقة والمنهج Vérité est méthode 1960 فكرته المركزية والمتمثل في أن المنهج العلمي تم تقديمه بشكل خاطئ، على أساس أنه السبيل الوحيد للوصول إلى الحقيقة. وهو ضد العلموية[37] Scientisme يريد إثبات أن هنام طريقة ومنهج آخر للمعرفة، لفهم الإنسان الذي ينخرط في علوم الروح (العقل)، أي العلوم إنسانية، وكذا في الفن وحتى في التاريخ. ينطلق غادامير من الفن وليس من علوم العقل مثل ما قام به دالتاي، لكي يمسك بما يحدث في عملية الفهم.

إن الفن بالنسبة لغادامير لديه بعد معرفي، لأن فهم معنى العمل الفني يشكل حدثا حقيقيا، ولقاء لا يكون فيه الإنسان مجرد متفرج ولكنه يشارك فيه. هو ذا مفهوم الفهم الذي أراد غادامير وصله، وجعله يمتد إلى العلوم العقلية (الروح)، فالفهم ليس إتقان لتقنية من تقنيات العقل، بل هو لقاء Une rencontre ، نحن لا نبدأ من العدم لفهم الآخرين.

– المؤسسون:

لم يكن دلتاي لوحده من ساهم في تطوير، والتأسيس للعلوم الإنسانية، فاستقراء التاريخ والفحص في مؤلفات الكثير من الفلاسفة، يُمَكِّنُنَا من العثور على دلائل تثبت، من دون شك، مساهمة هؤلاء في تطوير العلوم الإنسانية، وتأكيد علميتها، من هؤلاء:

– آدم سميث ADAM SMITH (1723-1790) وفكرته من الأخلاق إلى الاقتصاد.

– ألكسيس دو تكفيل ALEXIS DE TOCQUEVILLE (1805-1859) وفكرة الوفاق بين المساواة والحرية (الليبيرالية الأمريكية).

---

36 Wilhelm Dilthey, Le monde de l'esprit, p 15.

37 العلموية : مصطلح يستعمل للإشارة إلى الاعتقاد بالتطبيق الشامل للمنهج العلمي والطريقة العلمية ويؤمن بأن العلم التجريبي أكثر قيمة بالنسبة للإنسان من العلو والناهج الأخرى.

– شارل داروين (1809-1882) CHARLES DARWIN وفكرة، من الحيوان إلى الإنسان، الغرائز الاجتماعية وفكرة التطور.

– كارل ماركس (1818-1883) KARL MARX وفكرة المادية التاريخية

– شارل سندرس بيرس (1839-1914) CHARLES SANDERS PEIRCE وفكرة المثلث السيميائي: الإيقونة، المؤشر، والرمز.

– وليام جيمس (1842-1910) WILLIAM JAMES من خلال فكرة التأسيس لعلم النفس الأديان.

– سيغموند فرويد (1856-1939) SIGMUND FREUD وفكرة التحليل النفسي، الأصوص، والنظرية، التطبيق.

–فردناند دي سوسير (1857-1913) FERDINAND DE SAUSSURE علم اللسانيات الحديث.

– إميل دوركهايم (1858-1917) ÉMILE DURKHEIM أب علم الاجتماع الفرنسي، علم الاجتماع لتنشيط العلوم الاجتماعية.

– ماكس فيبر (1864-1920) MAX WEBER علم الاجتماع، أشكال الهيمنة.

– مارسيل موس (1872-1950) MARCEL MAUSS قوة العطاء، الممارسات الملاحظة le potlatch et le kula عطاء، استلام، إرجاع.

– كارل سميث (1888-1985) CARL SCHMITT ثيولوجيا السياسية، القوة أساس الحقوق.

– ليدوين فيتغنشتاين (1889-1951) LUDWIG WITTGENSTEIN طريق اللّغة، فكرة المعنى يتبع الاستعمال.

– غوردن شيلد (1892-1957) VERE GORDON CHILDE ما قبل التاريخ الاجتماعي.

– جان بياجي (1896-1980) JEAN PIAGET تطور ذكاء الطفل، إبستمولوجيا جينية.

– كارل بوبر (1902-1994) KARL POPPER معنى العلم، القابلية للتكذيب.

– هانة أرنت (1906-1975) HANNAH ARENDT التفكير في مشكلات الحداثة، التفكير في عالم أين يكون – كلود ليفي ستروس (1908-2009) CLAUDE LÉVI-STRAUSS الفيلسوف الإثنولوجي، ا لبنيات الأولية للقرابة.

– بول ريكور (1913-2005) PAUL RICOEUR، شرح أكثر من أجل فهم أكثر، الحذر من المعرفة الشمولية، حوار مع العوم العصبية.

– جون راولس (1921-2002) JOHN RAWLS مبادئ العدالة.

– إدغار موران (né en 1921) EDGAR MORIN الفكر التركيبي، الإنسان والعمل: لا يفترقان، ومتعددي الأبعاد، طبيعة المجتمع. وآخرون كثيرون في مختلف العلوم والمعارف

– ميشال فوكو (1926-1984) MICHEL FOUCAULT التاريخ في خدمة الفلسفة، حفريات المعرفة.

– نوهام شومسكي NOAM CHOMSKY (né en 1928) البحث عن قواعد لغوية (النحو) كونية.
للإنسان قيمة.

– يورغن هبرماس JÜRGEN HABERMAS (né en 1929) التواصل أساس الاجتماع، النظرية التواصلية

– بيار بورديو PIERRE BOURDIEU (1930-2002) الممارسات الثقافية.

– أمارتيا سن AMARTYA SEN (1933) إعادة التفكير في اللامساواة [38].

من الصعب بما كان، تحديد بدقة مولد العلوم الإنسانية والاجتماعية، لأنها خضعت إلى نوع من التطور التدريجي خاصة بعد ظهور التخصصات، إلى جانب تعقيد الواقع الإنساني والاختلاف في النظر إلى هذا الواقع المتغيّر، ظهرت على إثر ذلك الحاجة الضرورية إلى توظيف مختلف الطرق والمناهج لسد فراغ هذا الاختلاف، ومنه ظهرت العلوم وهي تنفصل عن الفلسفة كعلوم قائمة بذاتها، بموضوعها، ومنهجها الخاص. لم يكن استقلال هذه العلوم عن الفلسفة إلاّ بعد ما توفرت الشروط لذلك، أبرزها أفول الفكر المدرسي والأسطوري، وتطور الذهب الإنساني في عصر النهضة.

بعد أن كرس حياته بشكل مجيد لفلسفة اللغة وتاريخ الأديان ها هو الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي ارنست رينان Ernest Renan (1823-1892) ، أحد الشهود الفرنسيين على حركة العلوم التاريخية في ألمانيا، ينتهي به الأمر إلى الشك في قيمة هذه التخصصات. فقد عاملها على أنها "علوم تخمينية (حدسية) صغيرة petites sciences conjecturales ، التي يتم التراجع عنها باستمرار بعد صنعها، والتي سيتم إهمالها خلال مائة عام". فقد عبّر عن أسفه لعدم اختياره الطريق المستقيم والنفعي للكيمياء، وعلم الواقع والخير للإنسانية. بعبارة أخرى، لا نعرف حقًا ما إذا كانت العلوم الإنسانية تستحق هذا الاسم (علوم)، أم أنها ليست في الواقع إلاّ مجرد تخصصات أدبية وتقريبية، أو مجالًا بسيطًا للثقافة، هدفه الوحيد هو إدامة الأحلام، والأخطاء من الأجيال الضائعة. تلكم هي الأسئلة المشروعة في مجال فلسفة العلوم الإنسانية.

هل يمكن الحديث عن وجود لعلوم إنسانية في القدم؟

لا يمكن الحديث عن علم إنسان أو العلوم الإنسانية مستقلة في العصور القديمة، فقد كانت المشاكل المتعلقة بالإنسان في الفضاء الفكري اليوناني مثلا تفلت من الإنسان. أما الفكر المدرسي فقد قام على معارضة كل ما هو تجديد وإبداع انطلاقا من التعصب لفكر لا يتعارض والتعاليم، وقد تسبب هذا الفكر الوثوقي (الدوغمائي) عرقلت تطور العلو جملة بما في ذلك العلوم الطبيعية والإنسانية.

لم ترتسم حدود العلوم الإنسانية إلاّ في قرن التاسع عشر لذلك يسمى بقرن التاريخ، فيه تطور علم الاجتماع وعلم النفس، اللسانيات، وعلم الاقتصاد، والأنثروبولوجيا بوضوح، بعدما اكتشفت تاريخها. أما القرن العشرين، فهو قرن

38 Nicolas Journet (Sous la direction), Les grands penseurs des sciences humaines, Éditions Sciences Humaines, 2016.

المدارس، والتيارات، وقرن الروايات الفلسفية الكبرى من: الوضعية، والسلوكية، والليبيرالية، والماركسية، البنيوية، والنظرية التطورية الجديدة. في الغالب، هذه العلوم تتنافس على المرتبة الأولى، قبل أن يفسحوا المجال لشك كبير: ماذا لو كان تقدم المعرفة حول الإنسان في الأساس وهمًا؟ من هذا النقد الذاتي أظهرت العلوم الإنسانية أنها مرنة، وقاومت من خلال التخصص، ولكن لم يستسلم جميع الباحثين لها ولا يزال الطموح لتوليف جديد قائما.

ابتداء من القرن 18 بعد ما كانت هذه العلوم غير رسمية، تحولت وعن طريق نشاط الجمعية العلمية أو الأكاديمية العلمية[39] Société savante إلى علوم تهتم بموضوع الإنسان، وبذلك انتشرت كثير من المؤسسات التي اهتمت بهذا الموضوع نذكر منها:

- La société des observateurs de l'homme (1799),
- La société ethnologique de Paris (1838),
- l'American Ethnological society (1842),
- l'ethnological society of London (1843),
- La société de sociologie (1872),
- Sociétés de psychologie.

بالرغم من ذلك، فإن العلم الإنسانية ليست من اختراع القرن 18، بل كان لها وجود من قبل منا أو هناك من خلال التنوع الزماكاني (الزماني/ المكاني) الثقافي، إلا أنه في القرن 18 حصل الوعي الحقيقي بذاتها، للعلوم التاريخية، والفلسفية، والإثنوغرافية، والاقتصاد السياسي، علم النفس وغيرها[40]. بمعنى آخر تطور العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل واضح، لم يحصل إلا خلال القرن 20 و21 .

– جغرافيا العلوم الإنسانية:

يتحتم على الطالب المسجل في معهد العلوم الإنسانية، دمج خلال تكوينه، كثير من مجالات الدراسة قبل أن يتخصص. ينبغي أن يحوز على الوسيلة التي تُيَسِّرُ له الولوج إلى كم كبير من النشاطات (العلوم)، وتكون له دليل يصحبه طيلة سنوات دراسته. هذا بالنسبة للطالب، أما بالنسبة للباحث فإن ساعة التكامل المعرفي تكون قد حلّت.

فالعالِم الاجتماعي يتفتح على علم النفس والعكس صحيح، مثلما أن عالِم اللّغة، لا يمكنه البقاء منعزلا دون التواصل مع تطور العلوم العرفانية . من جهة أخرى، يجد الأنثروبولوجي نفسه في مواجهة تطور علم الحفريات، وعلى الجغرافي الخروج من حجره للتفتح على العلو الإنسانية الأخرى.

يذكرنا هذا الحضور الاجتماعي والمؤسساتي للعلوم الإنسانية، بأن العلوم لا تتطور فقط في المجالات الأثيريّة للأفكار، بل تم تشكيل التخصصات حول المؤسسات من جامعات، ومؤسسات علمية كبيرة مثل المركز الوطني للبحث العلمي

---

39 تنشأ لدفع تقدم مجال أو مهنة أكاديمية معينة، وذلك بإقامة لقاءات لعرض ومناقشة نتائج الأبحاث الجديدة.

40 Georges Gusdorf, Introduction aux sciences humaines. Essai critique sur leurs origines et leurs développement, Les classiques des sciences sociales, 1974.

CNRS، ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا MIT والمعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصاديةINSEE سواء كانت منظمة في جمعيات مهنية، أو بشكل جيد، قوية وموحدة في البلدان الأجلو سكسونية، وإلى حد ما في أوروبا.

كما تمثلت في الشهادات الجامعية، والقوانين والمناصب وميزانيات البحث. ولطالما أدت هذه التحديات المؤسساتية إلى نشوب صراعات على المناطق، ونزاعات على الهيبة، وحروب على المواقع، وصراعات من أجل الاعتراف. لأن العلوم الإنسانية، هي أيضًا مسألة ألقاب ومناصب ونزاعات وخلافات، لذلك نجد المحللون النفسيون ضد العرفانيين في علم النفس، والليبراليين الجدد ضد الكينزيين، نسبة لكاينز John Maynard Keynes (1883-1946) في الاقتصاد، وعلماء الآثار الذين يتقاتلون على حقول التنقيب، ثم أن هناك بعض التخصصات الجديدة في تاريخ العلوم الإنسانية – مثل التربية أو علوم الاتصال – تكافح من أجل الحصول على الاعتراف.

من وراء هذه الملاحظة تلوح في الأفق هذه الحقيقة المبتذلة ولكنها مهمة: إن العلوم الإنسانية من صنع الإنسان. الرجال والنساء بذكائهم وضعفهم وطموحهم وحدودهم. العلوم الإنسانية لها أبطالها، ومفكروها، ومتخصصون غرباء الذين يعملون في الظل. هناك، بإمكانك أن تقابل كُتَّاب ومؤلفين، ذوي القلم الخفيف، ومتخصصين متغطرسين، وأفكار قوية ومفاهيم غامضة، ونظريات مشرقة وأخرى متواضعة، واكتشافات عظيمة، وأفكار مبتذلة، مجالات البحث التي تتقدم وأخرى تتخبط، إن العلوم الإنسانية مصنوعة أيضًا من كل هذا.

مراجع المحاضرة:

1 Schumpeter J.A, Esquisse d'une histoire de la science économique des origines jusqu'au début du 20ème siecle, Trad : G.B.Bousquet, Paris, Dalloz, 1962.

2 Mathieu Charbonneau, Le Methodenstreit : Plus qu'une « Querelle de méthodes », Revue : Notes de synthèse, Vol 1, N° 4, 2009.

- https://www.ieim.uqam.ca/IMG/pdf/Methodenstreit-CEIM-revision1-MCharbonneau.pdf

4 هو فرد نتاج مجتمع ليبرالي، ووسائلي، وهو الفرد المتحرر من الوحدة الأسرية والدينية، ناضج في تفكيره، وفي خياراته الأخلاقية، وهو الفرد الذي لا يكتشف معنى وغاية أفعاله إلا في ذاته. وهو في آخر المطاف "آلة حاسبة" Une machine à calculer وحدث (حقيقة) اجتماعي تام.

-Laval, C, L'homme économique: essai sur les racines du néolibéralisme, Paris, Gallimard, 2007.

5Jean-François Dortier, Les Sciences Humaines Panorama des connaissances, Edition sciences humaines, 2009, pp 21-22**.**

6 David Hume, Traité de la nature humaine, Livre I : De l'entendement (1739), version électronique, 2006, p9.
http://classiques.uqac.ca/classiques/Hume_david/traite_nature_hum_t1/hume_traite_nature_hum_t1.pdf

7 Gusdorf.G, introduction aux sciences humaines : Essai critique sur leurs origines et leur développement, Edition électronique, 1974, bibliothèque.uqac.ac, pp 39-40.

- http://www.uqac.ca/Classiques_des_sciences_sociales/

8Wilhelm Dilthey, Le monde de l'esprit, p 15.

9 العلموية : مصطلح يستعمل للإشارة إلى الاعتقاد بالتطبيق الشامل للمنهج العلمي والطريقة العلمية ويؤمن بأن العلم التجريبي أكثر قيمة بالنسبة للإنسان من العلو والناهج الأخرى.

10Nicolas Journet (Sous la direction), Les grands penseurs des sciences humaines, Éditions Sciences Humaines, 2016.

11 تنشأ لدفع تقدم مجال أو مهنة أكاديمية معينة، وذلك بإقامة لقاءات لعرض ومناقشة نتائج الأبحاث الجديدة.

12 Georges Gusdorf, Introduction aux sciences humaines. Essai critique sur leurs origines et leurs développement, Les classiques des sciences sociales, 1974.

5– المحاضرة الخامسة:

تقاطع العلوم الإنسانية:

إلى جانب، المجالات (الموضوعات) الكلاسيكية الكبرى مثل العمل(الشغل)، الأسرة، الفرد، الدولة، يوجد حقول دراسية جديدة مثل: الهوية، والحياة اليومية (المعِيشِي)، الجنس، الامتنان وغيرها. وإلى جانب التخصصات الكلاسيكية مثل الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع أو التاريخ، نجد علم النفس التطوري، والعلوم العصبية، علم الحفريات، والبيوإتيقا.

وإلى جانب الشخصيات العلمية الكبيرة أمثال: فرويد، ماركس، ملينا وسكي، وميشال فوكو وغيرهم، نجد أسماء جديدة تصنع العلوم الإنسانية اليوم أمثال: جورج غوسدورف جون راولس، بيار بورديو، كلود ليفي ستروس، إدغار موران، يورغن هبرماس، أمارتيا سن وغيرهم كثيرون.

من الأمثلة على تقاطع العلوم الإنسانية:

يحتل سكان أستراليا الأصليون Les Aborigènes مكانة خاصة في تاريخ العلوم. في سنة 1899 قدّم كلا من الباحث الهاوي (هواية البحث): الأسترالي Francis J. Gillen (1855-1912) والفيلسوف الإنجليزي Baldwin Spencer (1820-1903) في مجال النثروبولوجيا والإثنولوجيا بتقديم دراسة حول قبائل Arunta أو Arrente التي كانت تعيش في وسط أستراليا، وتتضمن هذه الدراسة وصف لنمط حياة السكان الأصليين، وخاصة منها المؤسسة الطوطمية. وانطلاقا من هذه الدراسة أسست مجموعة من العلماء: جامس فريزرن إميل دوركهايم، سغموند فرويد و ليفي برول، نظريات عامة في أصول الأديان أو المجتمع، وذلك بالاعتماد على دراسة السكان الأصليين، واتخاذهم بمثابة نموذج قريب مما يعرف بالإنسان الأول. كما أن العقيدة الطوطمية كانت بمثابة القاعدة الوثائقية بالنسبة لدوركهايم لكتابه: الأشكال البدائية للحياة الدينية (النظام الطوطمي في أستراليا) (Le Les Formes élémentaires de la vie religieuse Système totémique en Australie) 1912 . وفي كتابه فرويد الطوطم والمحرم Totem et Tabou يوظف الوضعية الطوطمية الأسترالية لتأكيد نظريته في أن الطوطم هو السلف الأسطوري للقبيلة، والذي قُتِلَ من طرف أبنائه لأجل الإناث، هذا القتل البدائي هو الفعل المؤَسِسْ للمجتمع وللممنوعات الغذائية (المحرمة) التي تتعلق بالحيوان الطوطم، والمنبثقة من الشعور بالذنب المرتبط بقتل الأب[41] Le parricide.

بالنسبة للباحثين في مجال العلوم الإنسانية، فإن الوقت قد حان للعمل في إطار التكامل بين هذه العلوم Une interdisciplinarité، فعالم الاجتماعي يتفتح على علم النفس والعكس صحيح، ولا يبقى عالم اللّغة غير مبل بتطور العلو المعرفية، ويواجه الأنثروبولوجي تطور علم الحفريات، وعلى العالم الجغرافي التفتح على العلوم الإنسانية[42].

---

41 Jean-François Dortier, (Sous la direction), Dictionnaire des sciences humaines, Paris, Edition sciences humaines, 2008, pp 62-64.

42 Ibid, pp 59-61

– مفاهيم، ونظريات ونشاطات العلوم الإنسانية:

يبدو أن العلوم الإنسانية دخلت المجتمع، والدليل هو ظهور هذه المفردات التي نسمعها على الأثير، ونقرأها في الصحف ونسمعها في أروقة المؤسسات التعليمية، الاستشفائية، والحقوقية، والاقتصادية وغيرها من الأماكن مثل: الهوية، والحياة اليومية ، والاعتراف، الفرد المواطن والمواطنة، الثقافة، العنف، السلم، الحقوق، المدينة، الشيخوخة، الاستهلاك، المنفعة، التقنية، المؤانسة، الإحصاء، التضامن والضمان الاجتماعي، والجنس، وغيرها من المفردات الجديدة.

هذه الكلمات تمس بشكل مباشر قضايا اجتماعية، مثلما أنها تعبر عن تحديات شخصية. إن عملية إدخال هذه المفردات الجديدة في لغتنا العادية، تعكس نوع من التطور العميق لمجتمعاتنا.

إلى جانب العلوم الكلاسيكية، من علم الاجتماع، علم النفس، التاريخ نشهد اليوم ولوج كثير من العلوم الجديدة التي تمثل جزء كبير من العلوم الإنسانية مثل، علم النفس التطوري، دراسات ثقافية، علم الأعصاب، وعلم الآثار، أخلاقيات علم الأحياء أو البيوإتيقا La bioéthique وعلوم اللّغة وغيرها، وذلك بمساهمة مجموعة من الخبراء، ومعالجين، ومستشارين، ومسؤولين عن إدخال عناصر التطور والتواصل.

– مشكلة التأخر التاريخي في ظهور العلوم الإنسانية:

يمكن ارجاع أسباب تأخر العلوم الإنسانية في الظهور والتطور على شاكلة العلوم الطبيعية إلى عدة أسباب نذكر منها:

– توجه البحوث العلمية إلى مصادر المنفعة المادية، لذلك كان الاهتمام والتمويل للعلوم الطبيعية أكثر من العلوم الإنسانية والاجتماعية.

– علمية هذه النشاطات (العلوم الإنسانية) متميزة بعدت صفات نذكر منها:

– الذات الدارسة وموضوع الدراسة واحد: ويكون هذا في صورتين: الموقف المنعكس أو انعكاس الذاتي لذلك يكون موقف الدارس متميز نوعا ما. على حد تعبير غوسدورف، الإنسان هو ذلك الكائن الذي يمتلك موهبة جعل نفسه محل تساؤل، وتغيير المعاني المحققة باستمرار[43]. الموقف الأول الكلاسيكي يفضل التمييز بين الذات الملاحِظة، وموضوع الملاحظة، أما في الموقف الاثني، فإن الباحث يفضل تحمل مسؤولية التأكيد و/أو تحمل نصيبه من الموضوعية.

يتحدث كلود ليفي ستروس عن شروط عقلانية.

---

43 Georges Gusdorf, Introduction aux sciences humaines. Essai critique sur leurs origines et leurs développement, p 796.

– **بين الذاتية والعلماوية:** في الوقت لذي ظهرت فيه العلوم الإنسانية، كان هناك وجود للعلوم الطبيعية، وكانت تماما مشروعة الوجود، مما أدى إلى هيمنة العقلية العلمية وبالتالي تأثر العلوم الإنسانية بها في تطورها بالرغم من دفاع بعض المفكرين عنها. لقد بقية المناهج العلمية (الاستقرائية) معارضة لها، وما دامت كذلك فإن مسألة علمية العلوم الإنسانية تبقى مطروحة، وذلك لما يلاحظ عليها من حملها للمتعارضات.

– **النسقية:** على العكس من المعارف العلمية التي يمكن تعميمها، فإن العلوم الإنسانية والاجتماعية تتصف بالنسقية، أي أن المعارف التي تنتجها العلوم الإنسانية غير قابلة للتعميم، وذلك لأن لكل مجتمع ولكل عصر مميزاته.

– **نقص التكامل بين العلوم الإنسانية:** كل علم من العلوم الإنسانية والاجتماعية تهتم بدراسة جانب من جوانب الإنسان، لذلك، ومن الضرورة بما كان، خلق نوع من التكامل المعرفي بين هذه العلوم، من غيره لا يمكن لها أن تحقق غايتها وهي تقديم صورة متكاملة عن حقيقة الإنسان، والواقع الإنساني في بعده المعنوي شبيهة بتلك التي تقدمها العلوم الطبيعية.

– **التعقيد:** الواقع الإنساني معقد لأنه يتألف من عناصر كثيرة ومتنوعة وعلى درجة من التعقيد يصعب تناولها، ولكي يكون هناك فهم كلي لهذا الواقع، فمن الضروري ليس الأخذ بالإعتبار مختلف الجوانب كل جانب على حدى، وإنما النظر يكون للنظام العام والكشف عن هذه الجوانب(النفسية، الجسدية، الاجتماعية، ...) في تفاعلها وتكاملها.

يصوّر لنا إدغار موران Edgar Morin هذا التعقيد وهذا التركيب في مجال العلوم الاجتماعية معتبرا بأن المجتمع ينتج من خلال التداخل والتفاعل بين الأفراد، إلاّ أنه بمجرد إنتاج المجتمع، ينتج هذا الأخير بدوره الأفراد، بمعنى آخر، يُنتج الأفراد المجتمع الذي سوف ينتجهم[44].

– **الوظيفة الاجتماعية للعلوم الإنسانية:**

لم تحظى العلوم الإنسانية والاجتماعية بالعناية اللازمة وهذا منذ زمن بعيد، وبالتالي لم تجد الدعم المالي، مما أدى إلى تقليص حضوضها في مشاركة المجتمع في حل مشاكله بالرغم مما تقدمه من منتوج معرفي إذا ما وُظف يمكن أن يتجاوز المجتمع به الكثير من هذه المشاكل التي يتخبط فيها ، والتي لعجزت العلوم الطبيعية عن حلها.

بالفعل يمكن للعلوم الإنسانية أن تشارك وتتدخل في كثير من مجالات الحياة الاجتماعية كالسياسة، والتربية، والصحة، والمواطنة، والاقتصاد وغيرها. وهذا يجعل من الفعل الصفة المميزة لهذه العلوم.

44 Edgar Morin, Introduction à la pensée complexe, Paris, édition du seuil, p 100.

ذلك لأن:

- الوصف فيها (وصف الذات) ينتج معرفة.
- التفسير فيها ينتج الفهم
- التكهن فيها ينتج التنبؤ
- واقتراح الحلول منها ينتج تجاوز المشاكل.

إن هذه الوظائف كلها هي بمثابة التحدي الذي تفرضه هذه العلوم التي تدفعنا إلى محاولة توسيع دائرة منفعتها ووظيفتها لأنها ضرورية لفهم هذا التعقيد، ولأنها تقدم لنا معارف حول المسائل التي تخص الأفراد والمجتمع.

إن تاريخ العلوم الإنسانية هو عملية تحري الإنسان عن الإنسان. العلوم الإنسانية هي حوار الإنسان مع الإنسان، كما أنها تساهم في بناء الإنسان إنها عبارة عن أنثروبولوجيا لا سقراطية، ولا ديكارتيه على حد تعبير غوسدورف[45]، فإذا كانت العلوم الطبيعية غايتها التنمية الاقتصادية، فإن غاية العلوم الإنسانية هي رفاه الشعوب.

45 Georges Gusdorf, Introduction aux sciences humaines. Essai critique sur leurs origines et leurs développement, p 7.

مراجع المحاضرة:

1 Jean-François Dortier, (Sous la direction), Dictionnaire des sciences humaines, Paris, Edition sciences humaines, 2008, pp 62-64.
2Ibid, pp 59-61
3 Georges Gusdorf, Introduction aux sciences humaines. Essai critique sur leurs origines et leurs développement, p 796.
4 Edgar Morin, Introduction à la pensée complexe, Paris, édition du seuil, p 100.
5Georges Gusdorf, Introduction aux sciences humaines. Essai critique sur leurs origines et leurs développement, p 7.

6- المحاضرة السادسة:

المشكلات الإبستمولوجية الخاصة للعلوم الإنسانية

1- مشكلات علم النفس:

- التيارات الكبرى المؤسسة لعلم النفس:

مصطلح سيكولوجيا يعني إتيمولوجيا علم الروح، ظهر في القرن 16، واعتبارا لعلاقته التاريخية الوطيدة بالفلسفة، فقد كان علم النفس يعني علم الحياة الذهنية (العقلية)، ظواهرها وشروطها.

ابتداء من القرن 19 وفي ألمانيا بالضبط، عرف علم النفس تطورا منهجيا بفضل الأطباء والفيزيائيين. يُعد غوستاف فيخنر Gustav Fechner (1801-1887) أول العلماء النفس الألمان، كان سببا في ظهور علم النفس المخبري، وذلك بإدخال عناصر القياس (منهج قياس الإحساس) في علم النفس على اساس العلاقة الرياضية بين الإثارة (المنبه، والتحفيز) والإحساس، محاولا اكتشاف القوانين التي تتحكم في العلاقة والتأثير المتبادل بين المعطيات الفيزيائية والنفسية.

وفي السنوات التي تلت هذا الإنجاز، قدّم العالم الألماني فونت Wilhelm Wundt (1832-1920) كتابه: عناصر علم النفس الفيزيائية Élément de psychologie physiologique 1874 ويؤسس أول مخبر علم النفس سنة 1878 بمدينة لايبزيغ Leibzig في ألمانيا، محاولا بذلك تحليل ظواهر الوعي، لكي يعزل العناصر البسيطة مثل: الإحساسات، والأحاسيس، والصوّر.

من أشهر علماء النفس الأوائل وليام جيمس (1842-1910)، وتلميذه غرانفيل هال Granville S.Hall (1844-1942)، والذي أسس مجلة American Journal Psychology، مع العالم الإنجليزي جامس كاتل James M.Cattel (1860-1944).

إلا انه من ريبو إلى فونت مرورا بوليام جيمس، كانت فترة المخابر النفسية-الفيزيائية، وفترة تجريب، لكن نتائج البحوث في مجال علم النفس تبقى محصورة في موضوع فيزيولوجيا الإحساس، ولا يتحدث علم النفس القرن 19 لا عن السلوك، ولا عن التصرفات، ولا على العقل. يعد استخدام الطريقة التجريبية عاملاً لا جدال فيه في تقدم المعرفة في علم النفس ، ولكنه يطرح سلسلة من المشكلات.

ذلك لأن هذه الطريقة (التجريبية) تقتضي موضوع الحقائق البشرية فقط التي يمكن إخضاعها للتجريب في المختبر تحت السيطرة. لذلك فإن فئة كبيرة من الحقائق البشرية تفلت من هذا الاحتمال، كالخيال في الحياة اليومية، والعلاقات الشخصية، والصراعات، والعواطف، والدوافع في مواقف ما، كلها لا تصلح للتجريب عليها.

بالإضافة إلى ذلك، تتضمن الطريقة التجريبية عزل الحقائق البشرية وتقسيمها إلى عوامل أولية دقيقة ودقيقة بشكل متزايد. ومع ذلك، فإن ردود أفعال الكائن الحي غالبًا ما تكون عامة، مثلما لاحظ ذلك كلود برنار، وعليه فإنه من الآن فصاعدًا، يخضع علم النفس التجريبي لقانون أخلاقي يحظر إجراء تجارب مثل تلك التي أجريت في عصره.

في نهاية القرن 19 أصبح علم النفس، في كل الدول المصنعة، نشاطا مستقلا قائما بذاته، يطمح إلى الارتقاء، إلاّ أنه لم يتطور بنفس النموذج في مختلف البلدان، مثلا في فرنسا، يختلف علم النفس التجريبي عن علم الأمراض العقلية. كما أن التنويم المغناطيسي L'hypnose لشاركو Jean Martin Charcot (1825-1893) اعتبر بمثابة منهج تجريبي في علم النفس الذي يبني الأرضية العلمية لعلم النفس. كما عيّن ريبو Théodule Ribot (1839-1916) في منصب أستاذ كرسي في علم النفس في المعهد الفرنسي، وقد ساهم في تكوين الكثير من الطلبة الذين شاع صيتهم في أوساط علماء النفس، أمثال: بيار جاني، جورج دوما وغيرهم، كما شجع على انشاء أول مخبر علم النفس تجريبي فرنسي في السربون.

يعرف علم النفس اليوم تنوعا في التوجهات المؤسسة على تنوع تياراته ومدارسه.

المدارس الأولى في علم النفس التي اقترحت مقاربات مختلفة في دراسة السلوك (التصرفات):

– علم النفس البنيوي La psychologie structuraliste: حول معرفة عناصر الوعي (الشعور)، وتحديد وضعية بنية السلوك وذلك بواسطة الاستبطان أو الملاحظة الذاتية للوعي.

– علم النفس الوظيفي Le fonctionnalisme: البحث في العمليات الذهنية من جهة ما هي وسائل لغايات معينة، أي وسائل للتكيّف الفرد مع محيطه الخاص.

وكان لا بد من الانتظار حتى القرن التاسع عشر، أي استقلال علم النفس عن الفلسفة والميتافيزيقي،

تيارات ومدارس علم النفس الحديث:

عرف القرن 20 سيادة الرأسمالية في أمريكا، والإشتراكية في روسيا، وطغيان التيار الوضعي المتطرف، كل هذا شجع على ظهور المدرسة السلوكية (علم النفس السلوكي) Le béhaviorisme، والتحليل النفسي La psychanalyse، ونظرية الصورة أو الشكل Gestalt-theorie أو الغشتالتية، وقد هيئت هذه المدارس لذلك التطور الملحوظ الذي سيؤول إليه علم النفس.

– **السلوكية**: هو اسم مشتق من السلوك، ويطلق على النظرية التي وضعها واطسن الأمريكي John Broadus Watson (1878-1958)، في مقال، في مجلة علم النفس سنة 1913 تحت عنوان Psychology as the behaviorist views it والذي أحدث ثورة في مجال علم النفس. يرى هذا العالِم بأن السلوك هو الموضوع الوحيد القابل للملاحظة، والذي يمثل

موضوع دراسة علمية، لذلك ينبغي على علم النفس أن يتطور على أساس دراسة السلوك وهو العنصر الوحيد الذي يمكن ملاحظته ملاحظة موضوعية.

– **التحليل النفسي**: مؤسس هذه المدرسة سغموند فرويد Sigmund Freud (1856-1939) وهو طريقة علاجية تُستخدم في علاج الأمراض النفسية، وذلك بدراسة العقل الباطن والسّمات النفسية التي تُشّكله، وتقوم على آلية التداعي الحُرّ والتحويل كطريقة في عملية العلاج. قد اعتبر بمثابة علم نفس حركي، يسعى على اكتشاف مناطق في الشخصية العميقة، والظواهر اللاشعورية بواسطة مناهج خاصة (التنويم المغنطيسي، والتداعي الحر، تفسير الأحلام ...)

– **علم النفس الصور أو الشكل**: في العشرينات تحت تأثير أعمال كوفكا Kurt Koffka (1886-1941) وكوهلر Wolfgang Köhler (1887-1967) و ماكس فيرتيمير Max Wertheimer (1880-1943) الذين طوروا علم النفس الصورة أو "الغشتالت"، والتي تعتبر الصورة فيه مرجعا أساسيا في عملية الإدراك.

إلى جانب ذلك هنا كثير من الفروع، كعلم النفس الاجتماعي، وعلم النفس المرضي، وعلم النفس المعرفي، والبيولوجي، وعلم النفس التطوري La psychologie évolutionniste وهذا الأخير جزء من علم النفس المعرفي، وجد أصوله في الدراسات الأولى حول الذكاء ونظريات التطور عند دارون Darwin ، ويهتم بتطور الفكري والعقلي، والعاطفي للشخصية[46].

– **مشكلة المنهج**:

بناء على ما سبق، يمكن القول بأن لعلم النفس طريقة ومنهج خاص في التعامل مع الظواهر النفسية المعقدة، وعلى هذا الأساس يمكن الحديث عن ثلاثة مناهج أساسية كبرى، تتزع بدورها إلى شعب، وهي كالتالي:

– **علم النفس التجريبي**: سبق الحديث عنه. هو عبارة عن علم نفس مخبري، يهتم بشكل متزايد بالتجارب في الوسط الطبيعي، السليم، وهذه التجارب من المرجح أن تخبرنا المزيد حول الظواهر المعقدة والقريبة من مظاهر الحياة اليومية (علم النفس الاجتماعي، بيئة العمل، علم النفس التربوي وغيرها.

– **الطريقة التفاضلية أو المقارنة**: تهتم بدراسة المعطى النفسي انطلاقا من الفوارق بين الأفراد، لذلك فهي تهتم بالمتغيرات والفوارق النفسية، ودرجة ارتباطها وظروفها، من هذه الظواهر: الوراثة، البيئة، التربية، الحالات النفسية الجنسية، الأجناس، الحضارات، نماذج وأنواع اجتماعية، القدرات والشخصيات الفردية.

46 Jean François dortier (sous la direction), Le Dictionnaire des sciences humaines, Paris, Edition sciences Humaines, 2008, pp 1731-1733.

– **الطريقة السريرية (العيادية):** يهدف هذا المنهج إلى الإحاطة بالموضوع الخاص (الفردي)، باستعمال الوسائل المستنبطة تارة من علم النفس التفاضلي (كالاختبارات الذهنية)، وتارة أخرى، يهدف إلى استكشاف الشخصية من (سوابق، استبيانات، اختبارات اسقاطية، مقابلات)، وأحيانا أخرى يستنبط من (علم النفس الاجتماعي من خلال (لعب الأدوار، ديناميك المجموعات).

إن كثرة المناهج هو دليل على تعقيد الظاهرة النفسية، لذلك كان في اعتقاد المدارس الأولى، أن أحسن طريقة لبلوغ حقيقة النفس وحالاتها هي طريقة الاستبطانية (الاستبطان) L'introspection نوع من التأمل الذاتي، أو نظر الشخص إلى ذاته، أو الملاحظة الذاتية. ويصبح الملاحَظ هو نفسه الملاحِظ. وبهذه الكيفية تعرّض هذا المنهج وهذا النوع من علم النفس إلى انتقادات لاذعة، خاصة تلك التي قدّمها أوغست كونت Auguste Comte (1798-1857). فقد اعتبر علم النفس وعلى الأخص علم النفس الاستبطاني في كتابه دروس في الفلسفة الوضعية ، علم وهمي، وهو عبارة عن الصورة الأخيرة التي اتخذها اللاهوت الذي يسعى اليوم بعضهم، بلا طائل، إلى إحيائه. والأكثر من ذلك أن هذا المنهج يعتمد على ملاحظة الذات لنفسها، وهو أمر مستحيل لأن الفرد المفكر لا ينشطر إلى قسمين: أحدهما يفكر، والآخر ينظر إليه وهو يفكر[47].

– مثال آخر عن منهج علم النفس الاجتماعي (السوسيولوجي) :

أولا هو علم أكثر تجريدا من باقي العلوم الإنسانية، وهو ثانيا، علم تقني تطبيقي أساسه التجريب لأنه يرتبط بالحياة اليومية العينية، في مشاكلها، فهو بالنسبة للبعض مُختبر العلوم الإنسانية الأخرى. من جهة أخرى، يكون التوجه الحالي لهذا العلم (علم النفس الاجتماعي)، هو دراسة العلاقات الاجتماعية Relations sociales التي تبنى بين الأنا كفرد أو كجماعة والآخر أو الغير كذلك كفرد أو كجماعة، الغاية منها، تحليل علاقتها بالوسط Le milieu اجتماعي كان أو غير اجتماعي، ونجاح هذه الدراسة متوقف على مدى فهم الدارس لهذه العلاقة وآثارها، وهو أمر في غاية الصعوبة غلى درجة الاستحالة. من هنا يمكن استنتاج أهم العوائق الابستمولوجية، بلغة باشلار، التي تقف في وجه تطور هذا النوع من الدراسات:

– قصور في التصور النظري لموضوع علم النفس الاجتماعي. إن تعقيد الظاهرة المدروسة، يشكل عائقا في وجه معرفتها وتصورها خاصة إذا علمنا أن موضوع دراسة علم النفس افجتماعي هو نفسه موضوع دراسة علم الاجتماع، ومنه يختلط الأمر على الدارس بين مختلف التوجهات والاتجاهات دون الوقوف على ما ينيز الظاهرة السايكوسوسولوجية عن غيرها من الظواهر. وبهذا لا يملك علم النفس الاجتماعي موضوعا خاصا به.

---

47 August Comte, Cours de philosophie positive, premiere leçon, Edition numérique, 1830 , p p 26-27.

– قصور على مستوى المنهج، بحيث ليس هنا منهج وطريقة واضحة يتعامل بها الدارس مع الظاهرة المدروسة، ذلك لأن علم النفس الاجتماعي يقف بين علم النفس كفرع يقوم على المنهج التجريبي، وبين علم الاجتماع يقوم على منهج الاستقصاء.

– قصور على مستوى تعميم النتائج[48].

بالرغم من الحقائق التي كشفت عليها هذه المناهج في بحثها، إلا أن كثير من الظواهر النفسية المعقدة فعلا، تبقى محل الدراسة لتعذر التجريب فيها، أو عزلها عن محيطها، أو حتى فهمها، ناهيك عن التنبؤ بحدوثها، والأخطر طابعها الذاتي.

48 ع.بنعبد العالي، م.وقيدي وآخرون، إشكالية المنهج في الفكر العربي والعلوم الإنسانية، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، 2001، ص ص70-76.

مراجع المحاضرة:

1 Jean François dortier (sous la direction), Le Dictionnaire des sciences humaines, Paris, Edition sciences Humaines, 2008, pp 1731-1733.

2 August Comte, Cours de philosophie positive, premiere leçon, Edition numérique, 1830 , p p 26-27.

3 ع.بنعبد العالي، م.وقيدي وآخرون، إشكالية المنهج في الفكر العربي والعلوم الإنسانية، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، 2001، ص ص70-76.

7- المحاضرة السابعة

مشكلات إبستمولوجيا في علم الاجتماع

- المولد:

أهم سؤال في هذا المبحث هو: هل السوسيولوجيا علم؟

ولد علم الاجتماع في أوساط المجتمعات الغربية في فترة الحيرة الفكرية التي كانت تعيشها نتيجة المشاكل آنذاك. وهو يحاول (علم الاجتماع) توسيع رقعة بحثه بدراسته لمختلف الظواهر الاجتماعية (المدينة، الأسرة، التواصل...)، تعددت مقارباته وتنوعت: فالبعض من علمائه يركز على مبدأ الانتظام والحتمية، والبعض الآخر، يركز أكثر على معقولية، أو تحليل التجربة العادية الاجتماعية.

إذا انطلقنا من مبدأ عدم تسمية علم الاجتماع، نظرية أو مقاربة، يمكن في هذه الحالة، يمكن رد المحاولات الأولى في هذا المجال إلى أفلاطون. أما إذا انطلقنا من العكس، أي من بداية الدراسات الجادة فيه، يمكن القول، بأن البدايات كانت في النصف الثاني من القرن 19، أي في فترة عرفت المجتمعات الغربية، وكذا المجتمع الأمريكي، تقلبات نتيجة تفاعل ثلاث ثورات:

- سياسية - الثورة الفرنسية
- اقتصادية – الثورة الصناعية
- فكرية – النهضة العلمية الحديثة

هذه الثورات الثلاث وضعت حدا لفكرة أن المجتمع يخضع لتوجيه ونظام إلهي أو طبيعي.

من الفلاسفة الذين انخرطوا في هذا الفكر الجديد، وذلك من خلال النظر والتحري في طريقة وضع الإنسان للتاريخ:

- ألكسيس دو توكفيل Alexis de Tocqueville (1805-1859) ودراسته حول الديموقراطية في أمريكا[49]، من خلال كتابه: De la démocratie en Amérique المجلد 2، 1835-1840 .

- كارل ماركس Karl Marx (1818-1883) وفكرة الصراع الطبقي.

من جهة أخرى، يمكن ملاحظة تطور البحوث والدراسات في مجال الإحصاء، وحول بعض الظواهر الاجتماعية (مواضيع) الجديدة، كظاهرة الفقر مثلا. وبالرغم من هذه المحاولات، لم تكن لهؤلاء فكرة التأسيس لهذا النشاط (علم الاجتماع).

يرجع الفضل للعالم الاجتماعي الفرنسي إميل دوركهايم Durkheim (1858-1917) في اتمام هذا الجهد، أي التأسيس لهذا العلم، بحيث، يعتبر أول من استعمل مصطلح سوسيولوجيا سنة 1839 بمفهوم أنه علم صارم ودقيق، يعنى بالوقائع

49 Alexis de Tocqueville, De la démocratie en Amérique, Institut Coppet, 2012.

الاجتماعية، وغايته بيان أن هذه الوقائع (اللّغة، القيم، الدين)، تتميز بطبيعتها الخاصة المختلفة عن تلك النفسية الذاتية، كالتفكير، و الإحساس، وردود الفعل، لأنها تظهر خارج الفرد في شكل سلوك في المجتمع[50].

في ألمانيا، ظهر من ساهم بشكل معيّن في بناء هذا النشاط الجديد (علم الاجتماع)، دود أن يعد من علماء الاجتماع، إنه ماكس فيبر Max weber (1864-1920) ، وبالرغم من كونه عالم اقتصادي، فإنه ساهم في التأسيس لعلم الاجتماع[51]، حين عرّفه في كتابه: الاقتصاد و المجتمع Économie et société.على أنه محاولة فهم المعنى الذي يعطيه الفرد لممارساته.

يمكن الحديث، كذلك، عن الفيلسوف جورج سمال Georges Simmel (1858-1918)، الذي دافع عن فكرة علم الاجتماع الشكلي المبني على أساس الأفعال المتبادلة بين الأفراد.

انطلاقا من هذه الإجراءات اتجه علماء الاجتماع الأوائل إلى تفسير هذا التغيّر الذي يلاحظونه في المجتمع. من بين القضايا التي حاول هؤلاء تفسيرها: خصوصية الحداثة المتضمنة في عقلنة الحياة الاجتماعية، والتي تؤدي إلى استياء العالم، وهذا ما تحدث عنه فيبر. من جهة أخرى، تحدّث دوركهايم عن تفسير الفعل الاجتماعي، الذي يعمل على تحرير الفرد، ويجعل منه أكثر ارتباطا بالمجتمع. ويذهب إلى البحث عن أسس الظاهرة الدينية، لكي يستنتج فكرة أن الله هو المجتمع[52] Dieu, c'est la société.

على العموم، تُفسّر المعرفة الاجتماعية آنذاك، على أنها معرفة من أجل الفعل: يتعلق الأمر بتمكين المجتمع من حل المسائل التي تواجهه، وهذا يزيد علم الاجتماع اتصالا بالواقع قد يرقيه إلى مصاف العلوم الطبيعية.

– علم الاجتماع من أوروبا إلى أمريكا:

بالرغم من المحاولات علماء الاجتماع المؤسسون التي ظهرت في أوروبا، إلاّ أن هذا العلم لم يعثر على مكان له في معاهد التدريس، لكمه استطاع بفضلهم غزو الكثير من مجالات الحياة الاجتماعية بفضل الدراسات التي قدّمها هؤلاء امثال:

– فراسوا سمياند François Simiand (1873-1935)، الذي اهتم بعلم الاجتماع الاقتصادين من خلال كتابه: 1932 Le salaire, L'évolution sociale et la monnaie

– موريس هالبفاك Maurice Halbwachs من خلال كتابيه: 1950 La mémoire collective

50 Durkheim, Les règles de la méthode sociologique, Paris, Ancienne Librairie Germer Baillière et Cie, 1895.

51 Max Weber, Économie et société, Les catégories de la sociologie, Tome1.

-Max Weber, Économie et société, L'organisation et les puissances de la société dans leur rapport avec l'économie . Tome 2

52 Durkheim, Les formes élémentaires de la vie religieuse, Le système totémique en Australie Paris, puf, 1912.

1938 La morphologie sociale

وعلى العكس من ذلك شهد علم الاجتماع تطورا ملحوظا، وذلك بفتح أول معهد لتدريس هذ التخصص الجديد سنة 1893 بجامعة شيكاغو Chicago، وتطور في ضل البراغماتية سنة 1920 بفضل البحوث التجريبية، التي اتخذت المدينة كموضوع لها، ذلك لكونها مجال اللقاء والتفاعل والأحداث التي جلبت اهتمام علماء الاجتماع، كما أنها وعاء لموضوعات كثيرة: كالأحياء، والهجرة، والتهميش، والانحراف ... أدى ذلك إلى ظهور مدرسة شيكاغو الاجتماعية الثانية سنة 1930 تحت إشراف هربارت بلومر Herbert Blumer (1900-1987).

لم تشهد فضاءات النقاش، ولا معاهد الدراسات نشاطا في مجال علم الاجتماع، إلاّ بعد الحرب العلمية الثانية، وفي أمريكا بالضبط، اين تطور فيها علم الاجتماع بشكل ملحوظ، في المقابل حاولت أوروبا استدراك هذا التأخر، وذلك بتطوير بحوثها في مختلف المجالات من خلال أعمال:

– ألان توران Alain Touraine

– جورج غورفيتش Georges Gurvitch (1894-1965)، اهتما بدراسة عالم الشغل، والمدينة.

كما أن زيادة طلب المجتمع لمعرفة تطور بعض المظاهر، والظواهر الاجتماعية، سمح بتوسيع دائرة البحوث في مختلف المجالات، ابتداء من الستينات:

– إدغار موران Edgar Morin تحليل ودراسة الأساطير التي تحمل الإرث الثقافي، كتاب: 1962 L'esprit du temps وكتاب: 1957 Les stars.

– جوفر دومازديه Joffre Dumazedier (1915-2002)، اهتم بدراسة ثقافة الترفيه، واستغلال عنصر الوقت.

– هنري مندراس Henri Mendras (1923-2003) من خلال كتاب: نهاية البدو 1967 La fin des paysans

– بيار بوديو Pierre Bourdieu (1930-2002)

– جان كلود باسرون Jean-Claude Passeron ، كلاهما اهتما بالبعد الرمزي للامساواة.

من خلال هذا العرض للنماذج التي عملت على توسيع دائرة البحوث الاجتماعية، يمكن ملاحظة ظاهرة انفجار البراديغمات، وهو دليل على اختلاف وجهات النظر، وأن لكل نظرية اجتماعية براديغم تؤمن به.

في فرنسا: ظهور أربع مقاربات، التي سوف تحدد مجال النقاش، والتي سوف تنقسم، وتختلف حول مسألة الفعل (الممارسة) الاجتماعي مع:

– مقاربة بورديو: وفكرة اكتساب العادات، وهي مجموعة الاستعدادات المكتسبة التي تمكننا من السلوك وفقا لما يحيط بنا.

– مقاربة توران: الفاعل (الممثل الاجتماعي)، يحمل في طياته تاريخانية، ويعنى هذا، فعل وتأثير المجتمع على الممارسات الاجتماعية والثقافية.

– مقاربة ريمون بودون Raymond Boudon (1934-2013)، يتحدث عن الفردانية المنهجية individualisme méthodologique، وخلاصة نظريته، أن جل السلوك يمكن تفسيره تفسيرا عقليا.

– مقاربة ميشال كروزييه Michel Crozier (1922-2013)، يقترح فكرة عقلانية الممثل الاجتماعي، لكن عقلانية محدودة، لأن الممثل يمتلك دائما جانبا من النشاط والتصرف أكثر أو أقل من النسق الذي ينشط خلاله. وبهذا يكون كروزييه، المصمم الرئيسي للتحليل الاستراتيجي والعمل الجماعي في علم اجتماع المنظمات. واصلت هذه المقاربات الأربع بحوثها حول مختلف الموضوعات:

– بورديو: في مجال التربية، الثقافة، عالم الفكر.

– توران: في مجال العمل والأدوار الجماعية.

– بودون: في مجال المعتقدات والإيديولوجيات.

– كروزييه: في مجال المنضمات.[53]

في أمريكا: اهتمت بعض النظريات بالمظاهر الاجتماعية العادية، وقد كان التيار الأكثر حضورا هو تيار التفاعلية الرمزية L'interactionnisme symbolique.

– التفاعلية: نظرية اجتماعية تقوم على فكرة أن العمليات الاجتماعية مثل: الصراع، التعاون وتكوين الجماعات، تنتسب إلى التفاعل بين الناس (البشر). والنظرية الأكثر تطورا في التفاعلية، هي التفاعلية الرمزية: وهو التواصل اللفظي وغير اللفظي بين البشر أو الحيوانات، يُحدد المعنى الذي يمنحه البشر والحيوان للعالم ولوضعياتهم الخاصة. تعمل هذه النظرية على تأكيد أن المجتمع يخلق نفسه، ويعيد خلق نفسه خلال التفاعلات اليومية، العادية.

– السياق المعاصر:

ابتداء من الثمانينات 1980 ونتيجة تطور وتغيّر المجتمع، وتغيّر مظاهره (الأزمة الاقتصادية، أشكال التجمعات والانتماءات – الطبقات الاجتماعية–، النقابات، الأحزاب السياسية)، كل هذه المظاهر أصبحت تشهد الأفول، بينما يستمر علم الاجتماع في ميادين أخرى (الهجرة، الانحراف الشبابي...)، والأكثر من هذا أفول الماركسية والبنيوية، وتوجه جل البحوث، والأعمال المعاصرة إلى تجاوز بعض المواقف التي تأسس عليها علم الاجتماع، وهي الثنائيات المتقابلة مثل:

53 Nicolas Journet (Sous la direction), Les grands penseurs des sciences humaines, Paris, Sciences Humaines Éditions, 2016.

المادية/ مثالية، الفرد/ الجماعة، الذات/ الموضوع، العالم الأكبر/ العالم الأصغر، وظهور مجال أوسع، واهتمام أوسع كالبِنَائِيةُ[54]. فعوضا من العمل على مقابلة الكلمات بعضها ببعض، نحاول تقريبها من بعضها البعض للتعبير عن مختلف الأبعاد الاجتماعية.

يبقا أن مجال علم الاجتماع، مجال واسع، كما أن الاختلاف حول قضاياه هو السمة المميزة له من نظريات وتيارات، يمكن رصد هذا الاختلاف في مسألتين:

1– الفرد: موضوع مركزي في علم الاجتماع.

2– المعرفة العادية: بالرغم من أن علم الاجتماع نشأ محاربا لفكرة المعنى المشترك، إلّا أن هذا الأخير نال اهتمام علماء الاجتماع، من خلال مبحث فينومنولوجيا الاجتماعية[55] Phénoménologie Sociologique.

– مشكلات علم الاجتماع الإبستمولوجية:

للإجابة عن السؤال الأهم هل السوسيولوجيا علم؟ La sociologie est-elle une science ?

يحاول علماء الاجتماع إقناع أنفسهم بأنهم يتعاملون مع موضوعات هذا النشاط تعاملا علميا، وبالتالي فإن علم الاجتماع في نظرهم، هو علم حقيقي مثله مثل العلوم الأخرى الطبيعية، فهل هذا صحيح؟

لا شك أن الكثير من الدارسين لعلم الاجتماع، ليسوا على أتم القناعة بأنه علم ويرجع ذلك للأسباب التالية:

– إنه نشاط هجين: إنه ليس بعلم بل هو نشاط، وفرع من فروع المعرفة، يماثل في ذلك التاريخ[56]. إن التراكم المعرفي في هذا النشاط جعل منه غير معين الحدود بين مثلا: الفلسفة لاجتماعية وعلم الاجتماع. وهو عبارة عن نظام هجين، ممزق بين الأساليب المعرفية ذات المطالب المتعارضة، والأهداف غير المتوافقة تقريبا، والتوجهات النظرية المتباينة، وتفضيلات الطريقة التي ليس من السهل، في كل الأحوال، تبريرها.

– إنه عبارة عن شراكة غير متجانسة: ذلك أن أول أمر يتقاسمه علماء الاجتماع، هم مختلفون فيه، فإذا كان البعض منهم يعطي اهتماما للبحث عما هو ثابت من السلوك الإنساني، فإن البعض الآخر يتمسك، قبل كل شيء، بفكرة توضيح التنوّع الكبير لنمط الحياة في المجتمع. إلى جانب هذا التباين في الغايات، هناك خط فاصل آخر مهم، يتعلق الأمر بفكرة اختزال والتقليل من التعقيد الذي تتصف به الحياة الاجتماعية، بحيث تظهر تجربة النصف الثاني من القرن الحالي، تركيز العلوم الاجتماعية اهتمامها على دراسة عددا قليلا من المتغيرات العلمية. فمن جهة يُظهر هذا الاهتمام أن

---

54 Philippe Corcuff, Les nouvelles sociologies, 3ème édit, Paris, Armand Colin, 2011.

55 مقاربة في البحث تؤكد على الخبرة البين ذاتية، كعنصر مهم في فهم الممارسة الاجتماعية في علم الاجتماع.

56 Coenen Huther Les paradoxes de la sociologie , Paris, L'Harmattan, 2012. pp 19-22.

الفكر السوسيولوجي غير منقوص من فكرة اختزال التعقيد، ومن فكرة النَمْذَجَةِ Modélisation، لكن من جهة أخرى، نجد أن معانيها في تنافس على الدوام في أوساط المتّحد العلمي السوسيولوجي.

من هنا يضل علماء الاجتماع ممزقين بين الاكتشافات غير الانتقائية لكل ما يمكن للحياة الاجتماعية تقديمه لنا، وبين أشكال مختلفة للنمذجة التي تتميز بابتعادها عن الموضوع المدروس. لذلك يُتَهَمُ البعض بأنهم غير علميين، بينما يتهم آخرون بتنظيم عمليات بحث غير مناسبة لدراسة الحياة في المجتمع.

– **إنه حلم عنيد:** وذلك نتيجة الرغبة في أن نجعل منه علما مثل العلوم الأخرى، والعمل في مجاله بالاستناد إلى مبادئ علمية مثل تلك التي تتوفر عليها الفيزياء، والكيمياء، والبيولوجيا. يعتقد الدارسون لعلم الاجتماع، أن شرط استمراره وتطوره هو شَلُ تأثير ذاتية الدارس، وبهذا فقط يمكن الاستمرار في علاقة الذات الدارسة (العارفة) بموضوع الدراسة (المعرفة). ثم أنه إلى يومنا هذا، ليس هناك إعادة النظر في هذه العلاقة، أو على الأقل الشك فيه، حتى أصبح يقال أن علماء الاجتماع هم الكثر استماعا للشائعات، وطبعا، هذا يجعل من مواقفهم جد نسبية، إلى درجة عدم التمكن من تكييفها مع موضوع الدراسة.

– **إنه عبارة عن صورة غير واضحة (ضبابية):** بمعنى أن الصور التي تتشكل لدينا حول علم الاجتماع، غير واضحة، ذلك أن جل العلوم لها موضوع دراسة محدد وواضح، وهذا ليس حال علم الاجتماع، لأن هذا الأخير، كثيرا ما نماثله بمجال دراسة المشاكل الاجتماعية Étude de problèmes sociales، كما أن مصطلح سوسيولوجيا يقترن بمعان مختلفة لكلمة اجتماعي Social في لغة الحياة اليومية. كما أننا نقابل الاجتماعي، في بعض الأحيان، بالاقتصادي، لكننا، لا نعلم ما يعنيه علم الاجتماع بـ "الاجتماعي"، ونتيجة ذلك، نلّفق للعالم الاجتماعي أسماء لا علاقة له بتخصصه، من سياسي اجتماعي، أو مساعد اجتماعي. وبما أن علم الاجتماع يُفْهَمُ على أنه مشروع دراسة غير معياري لمختلف مظاهر الحياة الاجتماعية، فإن علماء الاجتماع يجدون صعوبة في تجنب الحكام المعيارية في تحليلاتهم، مما يصعّب من عملية الربط بين الواقع ونظرتهم للواقع.

– **يوظف تقنيات يحسبها مناهج:** لقد حول دوركهايم ترقية علم الاجتماع إلى مصاف العلوم الطبيعية، وذلك باقتراحه لمنهج المقارنة أو طرقة المقارنة، بدلا من المنهج التجريبي، في هذا يقول:"حين يتم إحداث الظاهرة من أجل ملاحظتها يكون الطريقة أو المنهج هو التجريب، أما إذا كانت الظواهر ليست في متناولنا، بحيث تحدث تلقائيا، فإن طريقة التعامل معها هي التجربة غير المباشرة أو طريقة المقارنة"[57]. إلاّ أن صورة علم الاجتماع يغلب عليها البعد التقني في البحث والتحري، وليس بناء المفاهيم كغاية، ولا التفكير المنطقي كطريقة في التعامل مع مواضيع البحث. لذلك ينظر لعلماء

57 Durkheim, Les règles de la méthode sociologique, Paris, Ancienne Librairie Germer Baillière et Cie, 1895, p 153.

الاجتماع على أنهم متخصصون، فقط، في مجال الإدارة، أو وضع الاستبيانات، أو تحليل الإحصائيات، بل أنهم ينقسمون حتى في طريقة توظيف هذه التقنيات، ثم أنه يميلون إلى عدم التمييز بين المسائل التقنية والخيارات المنهجية. إلى جانب ذلك لا يميزون تارة بين الإعلانات والأحداث، وكثيرا ما يعترض البحث عن الفرد النموذج، إنشاء نموذج غايته التمثيل الإحصائي.

– موضوع من الصعب الاحاطة به: يمكن في هذا الشأن الحديث عن أربع مسائل تتصل بصعوبة الاحاطة بالموضوع:

– الحضور الدائم للمجموعة التي تظهر سلوكات فردية عند الدراسة (إثارتهم)، مما يعقد مهمة العالم الاجتماعي التي تهدف إلى الإحاطة بالموضوع والحصول على المشترك من السلوك في المجموعة.

– الظواهر كموضوعات متعلقة وتابعة لبعضها البعض (تعتمد على بعضها البعض)، تكون عواقبها غير متوقعة تماما.

– القيود الهيكلية التي تحدد حرية الأفراد.

– اللامساواة المتكررة التي تعيق التطلعات إلى تحقيق المساواة.

على أساس التحليل السابق، يمكن استنتاج ما يثبت نقص البُعد العلمي الذي يبدو على علم الاجتماع، بالرغم مما يقال عنه بأنه علم مستقل قائم على نفس المبادئ التي تقوم عليها العلوم الأخرى. إن مهمة العالِم الاجتماعي هي تسليط الضوء، وتوضيح البعض مما هو منطقي، أين لا يرى فيه الحس المشترك مجرد سخافة. إلاّ أنه من المستبعد انتظار تقدّم أو تطور في مجال التحليل السوسيولوجي على أساس النقاش المركزي حول الانقسامات الكلاسيكية: العقلاني/ اللاعقلاني. ومهما يكن من نقائص فإن علم الاجتماع يمر بنفس المراحل التطورية التي مرت بها العلوم الأخرى الطبيعية، التجريبية، لكن بصورة ووسائل مختلفة، وهو في تطور مستمر لأنه أدرك بأن خصوصية الظاهرة الاجتماعية تقتضي طرق خاصة للتعامل معها، ومنه لم يعد النموذج المعرفي الكلاسيكي (الفيزياء) هو الغاية، بل الغاية ينبغي أن تكون **فهم** الظواهر الاجتماعية من أجل تقديم الحلول المناسبة لها.

مراجع المحاضرة:

1 Alexis de Tocqueville, De la démocratie en Amérique, Institut Coppet, 2012.

2Durkheim, Les règles de la méthode sociologique, Paris, Ancienne Librairie Germer Baillière et Cie, 1895.

3 Max Weber, Économie et société, Les catégories de la sociologie, Tome1.

-Max Weber, Économie et société, L'organisation et les puissances de la société dans leur rapport avec l'économie . Tome 2

4Durkheim, Les formes élémentaires de la vie religieuse, Le système totémique en Australie Paris, puf, 1912.

5 Nicolas Journet (Sous la direction), Les grands penseurs des sciences humaines, Paris, Sciences Humaines Éditions, 2016.

6Philippe Corcuff, Les nouvelles sociologies, 3ème édit, Paris, Armand Colin, 2011.

7 مقاربة في البحث تؤكد على الخبرة البين ذاتية، كعنصر مهم في فهم الممارسة الاجتماعية في علم الاجتماع.

8Coenen Huther Les paradoxes de la sociologie , Paris, L'Harmattan, 2012. pp 19-22.

9 Durkheim, Les règles de la méthode sociologique, Paris, Ancienne Librairie Germer Baillière et Cie, 1895, p 153.

8- المحاضرة الثامنة:

مشكلات إبستمولوجية في علم الاقتصاد

تحتل العلوم الاقتصادية مكانة معتبرة في حياة الناس اليومية، وذلك لما تحققه من رفاه لبعض المجتمعات، ومن تلبية لحاجة الإنسان المادية، إلاّ أن النقاش الأبستمولوجي حول قضاياه لم تتوقف نتيجة ما لهذا العلم من إخفاقات تبعث على إعادة النظر فيه كنوع من التفكير، وكعلم قابل للتطوير. وهذا من خلال ما يمكن التعبير عنه بفلسفة الاقتصاد Philosophie de l'économie، في إطار مبحث فلسفة العلوم Philosophie des sciences، وعليه يمكن التساؤل حول طبيعة هذا علم، وهل هو من مصاف العلوم الطبيعية، أم أنه علم من نوع خاص؟

فبالرغم مما يدعيه علم الاقتصاد من دقة في التعامل مع قضاياه باستعمال مختلف المناهج العلمية التجريبية، وتوظيفه لمختلف الوسائل المادية، والصورية كالرياضيات للتعبير عن قوانينه، تبقى ممارساته، وتطبيقاته الواقعية لا ترتقي إلى هذا المستوى، ومرد هذا إلى خصوصية الظاهرة الاقتصادية ذات الأبعاد الإنسانية المتعددة، مما يدفع إلى تصنيفه ضمن العلوم الإنسانية.

- علم الاقتصاد:

يعتبر مفهوم الاقتصاد من أكثر المسائل تعقيدا، إلاّ أنه يمكن العثور مع جون ستيوارت ميل Mill على بعض الخصائص التي هيمنة على الساحة الاقتصادية في القرن التاسع عشر (ق19) قدمها لعلم لاقتصاد السياسي L'économie politique في كتابه:مبادئ الاقتصاد السياسي 1848 الذي نال شهرة كبيرة، في أوساط المهتمين بالشؤون الاقتصادية نظرا لاحتوائه على أهم الأفكار النقدية التي وجهة للنظام الاجتماعي آنذاك. سخّر ستيوارت ميل الجزء الأول من هذا الكتاب لتعريف الاقتصاد السياسي والذي ضمنه قوله: "هو العلم الذي يُعَلِمُ الأمم كيفية تحصيل الثروة". هذا التعريف لا يرضي فيلسوفنا، لأنه لا يميز بين العلم القائم على الملاحظة، ويهدف إلى الكشف عن القوانين، وبين الفن. وبالتالي يقترح تعريفا ثانيا بقوله:" أن الاقتصاد السياسي يعرفنا على القوانين التي تتحكم في الإنتاج، والتوزيع واستهلاك الثروات". هذا التعريف في نظر ميل، لا يخلط بين الأجناس من علم وفن، لكنه تعريف واسع لأن هناك قوانين كثيرة تتحكم في عملية الإنتاج، الفيزيائية منها، وأخرى تتعلق بالزراعة، وأخرى فيزيولوجية، وغيرها من القوانين مع أنها ليست جزء من القوانين الاقتصادية.

بناء على ما سبق، يقدم لنا ميل تعريفة للاقتصاد السياسي قائلا:" الاقتصاد السياسي هو العلم الذي يصف ظواهر المجتمع الناتجة عن تأثير العمليات المشتركة للإنسانية من أجل إنتاج الثروة، ما دامت هذه الظواهر لم تتغير بفعل مُؤثر آخر"[58].

من هذا التعريف يمكن استنتاج ما يلي:

---

58 Mill, j. S, Principes d'économie politique, avec quelques-unes de leurs applications à l'économie social, Paris, Guillaumin, 1801, pp 1-2.

أولا: الاقتصاد هو علم الثروة، من خلال اعتباره الاقتصاد كعلم يبحث في القوانين التي تضبط الظواهر الاجتماعية المتأتية من الأفعال المتنوعة للأفراد، لغرض إنتاج الثروة، و لا يهتم إلاّ بالثروة، ومنه، فإن الظواهر وهي الموضوعات التي يهتم بها الاقتصاد مثل، الإنتاج، والاستهلاك، والتبادل، تحتوي على الرغبة في الثروة والتي غالبا ما تكون العامل المهيمن. الملاحظ أن هذا التعريف يتفق إلى حد ما مع ما قدمه العالم الاقتصادي الإرلندي كانتيون Richard Cantillon (1680-1734) الذي جاء في كتابه "مقال في طبيعة التجارة بشكل عام" حديث عن الثروة التي يجنيها الإنسان عن طريق العمل من خلال استغلال ما تحتويه الأرض والبحر من خيرات[59].

ثانيا: الاقتصاد هو علم المؤثرات على الرغبة في الثروة المقدّرة في ذاتها. بحيث أن عناصر الاقتصاد الموضوعات التي يهتم بها والتي ذكرناها سالفا (الإنتاج، والاستهلاك، والتبادل وغيرها)، هي ظواهر غالبا ما توجهها الرغبة في الثروة. أحيانا يقابل الاقتصاديون هذا التعريف الجوهري بتعريف آخر اصطلاحي، مختلف عنه، لا يقل أهمية عن الأول، وهو تعريف قدمه العالم الاقتصادي الإنجليزي روبن Lionel Robbins (1898-1984) والذي يؤخذ به في كثير من البرامج الجامعية، قوله:" أن الاقتصاد هو دراسة للسلوك الإنساني باعتباره علاقة بين الغايات والوسائل النادرة للاستعمالات البديلة"[60]. أي أن الاقتصاد يستمد وحدته وخصوصيته باعتباره يدرس بعض النماذج من السلوك مثل، الخيارات التي نقوم بها لبعض الأغراض لحاجتنا إليها، دون غيرها التي نضحي بها. يحيلنا هذا إلى الاعتقاد بأن كل فعل إنساني هو بالجوهر اقتصادي، بمعنى أن خيارات الإنسان من بين الممكنات المعروضة عليه، تعبر عن محاولة تحسين مصيره.

بالرغم مما كان لهذه التعريفات من أهمية في تحسين وضعية الاقتصاد، على الأقل من حيث المفهوم والوظيفة، إلاّ أن ميل لا يعتبره (علم الاقتصاد) شيئا أكثر من **مجرد جزء صغير من العلوم الأخلاقية**، تلك التي تهتم بتحصيل الثروة، لذلك يرفض ميل أن يتخذ من هذا المبرر (تحصيل الثروة)، مدخلا عاما للسلوك الإنساني، خاصة إذا تعلق الأمر بالاستجابة لقهر الحاجة، أو هيمنة الحاجة على حد تعبير "ماركس".

- فلسفة الاقتصاد:

أو التفكير الفلسفي حول الاقتصاد، وهي جزء من الفلسفة تنتمي إلى مبحث المعرفة. وهي دراسة نقدية لمبادئ، ومناهج، ونتائج، والبعد المنطقي والموضوعي لعلم الاقتصاد، والسؤال الجوهري في هذا الشأن اي علم هو الاقتصاد؟ هل هو من العلوم المادية التجريبية، أم أنه من العلوم الإنسانية؟

أصول كلمة اقتصاد يونانية Oikonomos، وتعني إدارة المنزل، أو تسيير شؤون المنزل، من كيفية الاعتناء به، إلى طريقة الإتقان وتحديد الخيارات بين الممكنات وغيرها من الوظائف المماثلة لتلك التي يتصف بها عمل الاقتصادي، كالتحكم في الإنتاج، كم ننتج؟ متى ننتج؟ وكيف نوزع؟ وكيف نستهلك؟

أسئلة أسهل ما تكون، إلاّ أن الاجابة عنها يتطلب، من جهة، إجراءات ضرورية غير محدودة، وموارد الاقتصادية التي تحت تصرفنا كالأراضي، والعقارات، والآلات والوسائل المتنوعة المحدودة، كما تتطلب، من جهة أخرى، إجابات قد نجد

59 Richard Cantillon, Essai sur la nature du commerce en général, Paris, Institut Coppet, 2011, pp 67-94.
60 Lionel Robins, Essai sur la nature et la signification de la science économique, Traduit de L'Anglais par Igor Krestovsky. Paris, Médicis, 1947, p 30.

لها أثرا لدى المستهلك، أو المؤسسة الاقتصادية، أو في المجال الاقتصادي بشكل عام. ثم أن هذه الإجابات، كثيرا ما تكون محل نقاش واسع بسبب ما تثيره من تحديات اجتماعية، وسياسية، خاصة إذا كانت الموارد قليلة أو نادرة. من هنا كانت القرارات التي يتخذها المجتمع تعكس ما يمكن أن نسميه **بالمشكل الاقتصادي** Le problème économique والذي يتطلب تدخلا علميا وفلسفيا.

من المؤلفات الجديدة التي تواصل معها النقاش حول الاقتصاد Philosophy of Economics 2014 للعالم الاقتصادي الأمريكي المتخصص في منهجية وفلسفة الاقتصاد دون روس Don Ross، في هذا الكتاب يدافع روس عن فلسفة الاقتصاد، وعن مفهومها، ويوضح طبيعة الاقتصاد بالنسبة للعلوم الاجتماعية الأخرى، ومما جاء في الفصل الأول توضيح لمعنى فلسفة الاقتصاد، والإشارة إلى ضرورة عدم فصل معنى فلسفة الاقتصاد عن المعنى العام **لفلسفة العلوم**، هذه الأخيرة في نظره هي ذلك المنتوج الفكري الفلسفي الذي يرتبط في الأصل بأعمال حلقة فينا Le cercle de vienne ، والتي ركّز على تحديد المعايير التي بها نميز بين العلم واللا علم. ويشير في مؤلفه إلى أن هذه المعايير مشتقات من التطبيقات العلمية خاصة منها الفيزيائية، التي شكّلت آنذاك براديغم هذا التمييز (بين العلم واللا علم)[61].

من التساؤلات التي يمكن أن تطرح في هذا المجال (فلسفة الاقتصاد): **لماذا يعمل الإنسان؟**

لا شك أن هذا السؤال يسمح للفيلسوف بالولوج إلى عالم الاقتصاد، لأن الإجابة عنه لا تتطلب **تصرفا علميا** بحتا بقدر ما تتطلب **تفكيرا منظما** في كيفية تحصيل المنفعة، أو تلبية الحاجة.

يتحدث الفيلسوف الأمريكي دانيال هوسمان صاحب نظرية التوازن Théorie de l'équilibre كمنهج في مجال الاقتصاد الجزئي[62] Microéconomie عن ثلاثة حقول أساسية في فلسفة الاقتصاد:

أولا: أن الاقتصاد مثله مثل أي علم، يشكل موضوعا للنقاش الإبستمولوجي (المعرفي) والمنهجي (منهجية الاقتصاد). ويتضمن هذا الحقل التساؤلات التالية:

- كيف يمكن الربط (مطابقة) المنهج التجريبي مع الطريقة التي بها يُبني الاقتصاد ويمارس؟
- أي نوع من الحقيقة تطلبها النظريات الاقتصادية، هل تمدنا بمعرفة؟
- كيف يمكن لنا إثبات النظرية الاقتصادية؟
- إلى أي مدى يمكن للنظرية الاقتصادية الارتقاء إلى مصاف النظريات العلمية في مجال العلوم الطبيعية؟

ثانيا: يثير الاقتصاد تساؤلات حول عقلانية ونظرية الفعل الاقتصادي في حالة ظهور فرضيات في الاقتصاد الحديث، حول السلوك العقلاني للعناصر الاقتصادية.

- التساؤل حول واقعية الفرضيات الاقتصادية.
- حول مدى تأثر الاقتصاديين بالمعطيات التجريبية.

---

61 Don Ross, Philosophy of Economics, In, Economics as Philosophy of science, Basingstoke, Palgrave Macmillan, 2014, pp 3-13.

62 فرع من علم الاقتصاد الذي يعمل على نمذجة العناصر الاقتصادية (المستهلكين، الأعمال المنزلية، المؤسسات)، والتداخل بينها خاصة على مستوى السوق.

– هل تؤدي النظريات الاقتصادية إلى قوانين؟

– إلى أي مدى يمكننا التنبؤ في مجال العلوم الاقتصادية، وهل يمكن الوثوق بهذه التنبؤات؟

– التساؤل حول مدى دقة نتائج الاقتصاد العلمية؟

– التساؤل حول تطور وتقدم الاقتصاد.

ثالثا: محاولة الإجابة عن التساؤل حول ما إذا كان الاقتصاد يوفر الأدوات أو ما يمكن أن نسميه مبادئ ومعايير تقييم (تقويم) المؤسسات، والحالات، والعمليات الاقتصادية؟ وهي تساؤلات تنتمي إلى حقل الفلسفة المعيارية وبالأخص الفلسفة الأخلاقية، والسياسية. وهي عبارة عن المساءلة الأخلاقية حول الاقتصاد.

– كيف يمكن العيش معا؟

– كيف يمكن الحفاظ على التوازن بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة؟

– هل يمكن تحديد معنى الخير بالمنفعة؟[63]

من هنا يكون التناول الابستمولوجي للاقتصاد من خلال تبرير هذه التساؤلات، ولأن **العلاقات الاقتصادية ما هي إلاّ علاقات إنسانية**، فإن اللامساواة الحاصلة في مجال الممارسة الاقتصادية، كاللامساواة في تكافؤ الفرص مثلا، تشكل مشكلة فلسفية بامتياز.

بناء على ما سبق، يمكن القول بأن فلسفة الاقتصاد، غايتها الكشف عن الطبيعة الحقيقية لهذا العلم، وذلك من خلال الكشف عن طبيعة موضوعاته، ومنهج تعامله مع هذه الموضوعات، ونتائجه ومعيار صدق هذه النتائج، مما يدفعنا إلى النظر عن قرب في الركائز التي يبنى عليها أي علم وهي: الموضوع، المنهج، والغاية أو النتائج.

أولا: من حيث الموضوع:

موضوع علم الاقتصاد هو الظاهرة الاقتصادية Le phénomène économique، يعتقد مرسال موس في كتابه Manuel d'ethnographie (1926)، أن من بين كل الظواهر الأخلاقية، تبقى الظواهر الاقتصادية أكثر الظواهر التزاما بالمادية، وبالرغم من أنها تصنف عادة مع الظواهر المادية، إلاّ أنها تعبر عن تمثلات جماعية représentations collectives بحيث تعرض موقف أفراد المجتمع من المادة. وعليه فإن الظاهرة الاقتصادية، هي الظاهرة الاجتماعية التي تنظم وتتحكم في مجموعة من النشاطات التي تتعلق بالأشياء الضرورية التي تسمى ممتلكات Les biens ، إنها عبارة عن خدمة بالمقابل، أو هي ملكية متنقلة بين الأشخاص[64].

بمعنى، الظاهرة الاقتصادية ليس ظاهرة مادية محضة ما دامت تعبر عن علاقات اجتماعية، وإنسانية داخل المجتمع، فهي من جهة أخرى تعبر عن سلوك أخلاقي، والسلوك الأخلاقي هو سلوك إنساني بالرغم من أن مظهره مادي.

---

63 Daniel Hausman, The inexact and separate science of economics, cambridge, Cambridge University Press, 1992, p 1.

64 Marcel Mauss, Manuel d'ethnographie, Paris, Les classiques des sciences sociales, 2002, p 93. Récupéré sur : http://classiques.uqac.ca/classiques/mauss_marcel/manuel_ethnographie/manuel_ethnographie.pdf

ثانيا: من حيث المنهج:

إن التنوع في المدارس الاقتصادية، بين كاينزيين (نسبة لكاينز) Keynésiens، والماركسيين، والمؤسساتيين، يمكن تبريره بتنوع المناهج، وموضوعات الدراسة، ونوعية المسائل المطروحة، وكذا نتيجة التحديات الإيديولوجية. ومن هنا يمكن طرح السؤال التالي: حول ماذا يتفق الاقتصاديون؟

إن وجود هذا التنوّع في التيارات الفكرية الاقتصادية، يمكن أن يدل على الانحراف، فمن جهة: يمتلك الاقتصاد كل المميزات العمية: من معادلات، وبراهين، ومعطيات رياضية، ونماذج مجردة، ربما هذا الذي جعل منه يُصنف ضمن العلوم الصلبة[65] Les sciences dures . و من جهة أخرى: وجود مدارس كثيرة في هذا العلم:

- الكلاسكيون الجدد Les neo-classiques
- الكاينزيون Les Keynésiens
- النقديون (المدرسة النقدية) Monétaristes
- المنضمون Regulationnistes
- المؤسساتيين Institutionnalistes

ألا تخفي هذه النماذج المجردة معابد إيديولوجية؟ كيف يمكن تفسير هذه الوضعية؟

- التفسير الأول: هو أن الاقتصاد من **العلوم الزائفة**، بحيث ينسب لنفسه الخصائص العلمية، وهو في الحقيقة مجرد جمع لخطابات إيديولوجية، ومعارف مشكوك فيها.

- التفسير الثاني: العكس تماما، أي وراء هذه الخطابات الظاهرة، توجد أرضية اتفاق بين الاقتصاديين.

- التفسير الثالث: ممكن إذا كان علماء الاقتصاد غير متفقين فيما بينهم في جميع الأحوال، فهذا راجع إلى كون نماذجهم لا تنطبق على نفس الموضوع، وتثار نفس المسائل، وتنتهج طرقا مختلفة (مناهج مختلفة) في التعامل معها. ومنه، فإن التنوع في المناهج لا يتناقض مع علمية كل توجه من هذه التوجهات. وبالتالي الكل له الحق في نظرته مادام علماء الاقتصاد لا يتفقون على نفس الموضوع. وهذا التيار الأخير، أصحاب هذا التفسير، يعتبره البعض أقوى التيارات الاقتصادية، وأكثرها هيمنة وانتشارا في مجال الاقتصاد المعاصر، وذلك لاعتماده على الرياضيات، والاستنتاج المنطقي. وإن كان هذا الأساس يخدم أكثر المؤسسة، وبالتالي يتم استغلاله من طرف إما العائلة، أو المنظمات الاجرامية، أو المنظمات السياسية.

---

65 العلوم الصلبة عبارة تطلق على العلوم الطبيعية، والعلوم الدقيقة المنطقية، في مقابل عبارة العلوم الناعمة التي تطلق على العلوم الإنسانية والاجتماعية، وفي مقابل العلوم الدقيقة التي يطلق عليها عبارة العلوم اللاإنسانية، الجامدة.

إن هذه التفسيرات، مهما كانت صحتها، فهي لا شك، تبعث على الشك في نزاهة، وصرامة هذا العم في تعامله مع الظاهرة الاقتصادية، ثم أن الأساس الايديولوجي لدى الباحث الاقتصادي غير مستبعد في كثير من الأحوال، وهذا ينقص بشكل كبير من **موضوعية** الدراسة.

من جهة أخرى، قد يكون تعدد النظريات في الاقتصاد شرط لمواجهة مختلف أوجه الواقع، كما أنه شرط في استمرار التفكير الاقتصادي، إلاّ أنه قد يُنقص من علميته بفعل صعوبة تقنين وبالتالي التحكم في العمليات الاقتصادية الأساسية من إنتاج، وتوزيع، واستهلاك، وصعوبة التنبؤ بنتائجها، وهذا طبعا يحسب سلبا على هذا العلم.

إن الطابع الذي أراد أن يعطيه ميل للاقتصاد ليس ماديا، ولا نفعيا، ولا استغلاليا تماما، بل على العكس من ذلك قدّم لنا مفهوما للاقتصاد تتقاطع عنده اعتبارات أخرى إنسانية، وأخلاقية، واجتماعية.

من هنا يتصف علم الاقتصاد بكونه وحيد من نوعه بين مجموعة العلوم وذلك لما يتميز به من منهجية خاصة مختلفة عن تلك المعتمدة في هذه العلوم. وكون الاقتصاد من العلوم الجديدة التي تهتم بالفعل L'action، فقد كان مجالها الدراسي البحثي يصنفها كعلم اجتماعي، أو أخلاقي، وبالتالي فإن اهتماماته بعيدة عن محاولة تفسير المادة، لذا كان يشكل في بدايته مجالا نظريا خصبا لكن، تشوبه نوع من الفوضى مما دفع الآباء المؤسسون له إلى محاولة تنظيمه بداية من تعريفه، إلى التفكير في منهجه قصد الارتقاء به إلى مصاف العلوم الطبيعية المادية.

من بين المساهمين الأوائل في وضع القواعد الأساسية المنضمة لهذا العلم جون ستيوارت ميل وذلك بتعريفه، ووضع القواعد المنهجية له ويظهر هذا من خلال مقاله:

Essai Sur la définition de l'économie politique et sur la méthode d'investigation qui lui est propre 1830-1831 لقد سمح هذا المقال لميل بالكشف عن أهم المسائل الإبستمولوجية التي يثيرها بشكل عام، مما دفعه إلى اقتراح منهجية تستجيب إلى متطلبات الدفاع عن هذه النظرية. يتضمن هذا المقال خطوات ثلاث: (التعريف- المنهج- الحدود) في التعامل مع خصوصية هذا العلم (علم الاقتصاد السياسي):

- الاقتصاد التجريبي:

لقد كان مولد الاقتصاد التجريبي نتيجة التطور الحاصل في نظرية القرار[66] Théorie de la décision ونظرية الألعاب[67] Théorie des jeux. يعزى تطور الاقتصاد التجريبي إلى العالمين الاقتصاديين، الأمريكي فارنون سميث Vernon Smith ، والأمريكي الإسرائيلي دانيال كهنومان Daniel Kahneman (1934-)، اللذان نالا جائزة نوبل سنة 2002 في مجال الاقتصاد التطبيقي، وهو نوع من الاقتصاد يقوم على اختبار السلوكيات الاقتصادية الفردية أو الجماعية، وتحليل النتائج بواسطة الإحصاء وذلك بتوظيف الطرق التجريبية المعمول بها في مجال علم النفس.

---

66 في مجال الاقتصاد، تقوم القرارات التي تتخذ حول عملية العرض والطلب على أساس الحسابات الرياضية، الاحتمالية، والإحصائية.

67 مجال من مجالات الرياضيات تهتم بالتكامل الوظيفي لخيارات الأفراد وهم "اللاعبين" الذين هم على وعي بهذا التداخل الوظيفي.

من هنا يمكن القول بأن تطور الاقتصاد التجريبي لم يكن ممكن إلا بتوظيف الرياضيات، والإحصاء، والتصاميم (المخططات) كأدوات تحليل وكموضوعات للبحث، وقد كان التصميم أو النمذجة Modélisation أكثر التطبيقات سببا في تطور الاقتصاد التجريبي[68].

يرتبط الاقتصاد التجريبي بعدة، مباحث أساسية تعتمد التجربة في دراستها نذكر منها:

– علم الاقتصاد السلوكي Mentale Economy Comporte يهتم بدراسة تصرفات الناس في الوضعيات الاقتصادية، غايته الأساسية، وصف، ومحاولة فهم، لماذا يسلك الناس سلوك يبدو غير معقول أو مفارق لما تقول به نظرية (الإنسان الاقتصادي).

– علم الاقتصاد العصبي Neuroéconomie مجال يقع عند التقاطع بين علم الاقتصاد، والعلوم العصبية المعرفية، يهتم بدراسة تأثير العوامل المعرفية والانفعالية في اتخاذ القرار، سواء عند الاستثمار، أو عند التسويق، أو عند الاستهلاك.

– الفاعلية: La performativité مصطلح استعمل لأول مرة من طرف فيلسوف اللّغة الإنجليزي أوستن جون لانجشاو John Langshaw Austin (1911-1960) في كتابه Quand dire c'est faire (1962) ويعرف بأنه واضع نظرية أفعال الكلام.

– مشكلات المنهجية للاقتصاد التجريبي:

– يثير الاقتصاد التجريبي مشكلات منهجية متعددة، من هذه المشكلات ما يتعلق بخصوصياته مثل التوظيف الممنهج للحوافز المالية Motivations financières التي تميزه عن باقي العلوم الإنسانية منها علم النفس[69].

– تعمل النظريات الاقتصادية على محاولة تفسير والتنبؤ بالظواهر الاقتصادية الواقعية، فإذا نجح اختبار هذه النظريات تجريبيا في المخبر، ولو بطريقة غير واضحة، فلماذا لا ينجح تطبيقها خارج المخبر أي في الميدان؟ إن الطريقة التي يمكن أن نفهم بواسطتها هذه المشكلة، أي مشكلة التحقق من صدق التجارب، مبنية على معطيين:

– المجال الذي نخصصه للنظريات الاقتصادية.

– الإجابة التي نقدمها عن سؤال المطابقة الخارجية، أو إلى التواز، أي مسألة معرفة ما هي إمكانية استنتاج ظواهر اقتصادية واقعية، من خلال ظواهر اقتصادية تجريبية؟ فإذا قمنا بإقحام المعطيات السلوكية ضمن التجريب المخبري، فإن الإجابات التي نقدمها في مسألة المطابقة الخارجية، مهما كانت دقتها تضل جزئية[70].

يحيلنا هذا القول إلى التساؤل حول الشروط التي تسمح بنقل النتائج المتحصل عليها من المخبر إلى الميدان؟ إن الشرط الأساسي في هذه العملية:

– هو المعرفة الدقيقة بالتجارب وبمجال التطبيق الطبيعي.

– إن الغاية من التجارب في نظر الاقتصاديين، هي أساسا الكشف عن هذه المماثلة أو المشابهة.

---

68 Serra.D, Un aperçu historique de l'économie expérimentale : des origines aux évolutions récentes , *l'Economie politique*, (*122*(05), 2012, pp. 749-780.

69 Guala. F, the Methodology of experimental économics, Newyork, Combridge UP, 2005,pp 239-263.

70 Plott. C, will economics Become an experimental science? *Southern Economic Journal*,(*57*(4), 1991, pp. 901-919.

– ما التجارب إلا وسائط بين مجال الاقتصاد، والفرضيات التي يمكن أن تكون حوله[71].

ثالثا: من حيث النتائج (ترييض الاقتصاد)

لا ننكر مدى توظيف الاقتصاد للرياضيات في التعبير عن قضاياه، إلا أن هذه الميزة لا تبرر علميته، فبقدر ما تضيف الرياضيات من دقة في الدراسات الاقتصادية، فهي تخفي من جهة اخرى الكثير من المسائل التي تحتاج إلى الدراسة لكونها ذات طبيعة مميزة. وعليه، فإن توظيف الرياضيات في الاقتصاد ضروري غير كاف، في هذا الصدد يعتقد أمارتيا سن Amartya Kumar Sen (1933-) صاحب نظرية الخيار الاجتماعي La théorie du choix social المطبقة في مسائل العدالة الاقتصادية Justice économique، أن المبالغة في توظيف الرياضيات قد يكون سبيلا للتغاضي على المسائل الأكثر أهمية، حتي منها التي لا يمكن جعلها في شكل معادلة. ومنه فإن الرياضيات ليست الأساس الوحيد لعلم الاقتصاد[72].

– علم الاقتصاد: من الوضعي إلى المعياري

يشارك الكثير من الاقتصاديين في تقييم Évaluation سياسات ومؤسسات الاجتماعية الاقتصادية، والبعض منهم ينظر إلى نشاط هذه المؤسسات خاضع لمشروع إنساني يعمل على تحسين ظروف وشروط الحياة المادية للأفراد. يبقى أننا **لو** أخذنا الموضوع من منظار فيلسوف العلم، فهذا لأن جانبا من الغايات، والمواقف، وإسهامات الاقتصاديين تخضع للوهلة الأولى إلى نظام معرفي Régime épistémique شبيه بما هو سائد في العلو، و**لو** وضعنا فرضية أن هذه الغايات، والمواقف، وإسهامات الاقتصاديين متمايزة بحيث يمكن تحليلها وتقييمها بواسطة قواعد ووسائل فلسفة العلوم، **فإن** المؤكد أن هذه الفرضية ترتبط بشكل واسع مع مسألة التمييز الشهيرة بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد المعياري، ويعتبر الاقتصاد الوضعي هو موضوع اهتمام فيلسوف العلم.

يعود هذا التمييز إلى التقسيم الثلاثي بين "**العلم الوضعي**" و"**العلم معياري**" و "**الفن**" الذي أشار إليه العالم الاقتصادي البريطاني "كينز" الأب John Neville Keynes (1852-1949)، في كتابه The scope and method of political economy 1891. وهو صاحب النظرية الكينزيانية Keynésianisme [73]. مدرسة تفكير اقتصادي أسسها كينز، مبدأها هو أن ترك الأسواق لحالها لا يؤدي بالضرورة إلى أمثل وأفضل اقتصاد (سبق أن أشرنا لهذا من قبل).

أما النوع الأول من العلوم (العلم الوضعي) فهو مجال من المعارف المنتظمة تهتم **بما هو كائن**، بينما النوع الثاني من العلوم (العلم المعياري)، فهو مجال من المعارف المنتظمة تهتم **بما ينبغي أن يكون**. في حين أن العلم الثالث (الفن)، فهو نظام من القواعد تهدف إلى تحقيق غاية معينة. فإذا كان الكثير من الاقتصاديين يؤكدون على السمة الوضعية للاقتصاد، وبالتالي خلو هذا العلم من أحكام القيمة، أي ما يعرف عندهم بالحيادية القيمية Neutralité axiologique،

---

71 Guala. F, the Methodology of experimental économics, Newyork, Combridge UP, 2005,pp 211-209.

72 Sen, A. (2009, juin 08). Nous devons repenser la notion de progrès. https://www.lemonde.fr/planete/article/2009/06/08/amartya-sen-nous-devons-repenser-la-notion-de-progres_1204007_3244.html?contributions. (A. Grégoire, & C. Laurence, Intervieweurs) Le monde: https://www.lemonde.fr/planete/article/2009/06/08/amartya-sen-nous-devons-repenser-la-notion-de-progres_1204007_3244.html

73 مدرسة تفكير اقتصادي أسسها كينز، مبدأها هو أن ترك الأسواق لحالها لا يؤدي بالضرورة إلى أمثل وأفضل اقتصاد.

بعد ما ميّز هؤلاء بين الوقائع والقيم في الأدب الاقتصادي Littérature économique، فإن البعض منهم لا يرى أنه من السهل التمييز بين نوعي الاقتصاد (الوضعي والمعياري)، وبالتالي فإن لاقتصاد في نظرهم يتصف بجملة من الخصائص تمثل في حقيقة الأمر فرضيات[74] نذكر منها:

أولا: لا يمكن أن يكون الاقتصاد، في نظرهم، خال من أحكام القيمة بشكل تام وخالص حول بعض موضوعات اهتمامه مثل: الفقر، أو الاستغلال، أو مراجعة الأجور، أو غيرها من السلوكيات التي تثير مشكلات ذات طابع قيمي. ومن نتائج ذلك: التعرض للخلط والفوضى، التعميمات الخاطئة لحقيقة، هي في الأصل جزئيا صحيحة[75].

ثانيا: كون أن الاقتصاد هو علم **الثروة**، أو علم **بالثروة**، أي أنه يهتم بكل شيء له قيمة، ويجلب الثروة، وقابل للتبادل، لذلك يعرَّف الاقتصاد عادة بالعلم الذي يهتم بالرفاهية (الرفاه) المادي مرتبطا بالرغبة في تحصيل الثروة. (وقد أشرنا إلى ذلك من قبل).

ثالثا: كون الاقتصاد علم المؤثرات على الرغبة في الثروة. فعلم الاقتصاد هنا يهتم بدراسة نوع من السلوكات مثل، الخيارات التي نقوم بها لبعض الأغراض لحاجتنا إليها دون غيرها التي نضحي بها.

في هذه الحالة نتساءل فيما إذا يمكن للاقتصاد أن يعمل دون شكل من أشكال الأخلاقيات؟

فإذا كنا نريد من النظام الرأسمالي أن يكون أخلاقي أو أن يتحول إلى أخلاقي، فإننا نريد من ذلك أن يمتثل النظام التقني العلمي للنظام الأخلاقي، وهو أمر مستبعد إذا ما أدركنا اختلاف البنية الداخلية لكليهما، إن العلوم ليس لها أخلاق، ولا للتقنية كذلك.

كيف للاقتصاد أن يكون له أخلاق وهو في الوقت نفسه علم وتقنية؟

هذا التساؤل يحيلنا إلى النظر في أهم بُعد من أبعاد الاقتصاد التي تجعل من **علميته** تتراوح بين المتطلبات التقنية في التنظيم الاقتصادي، وبين حاجة العمليات (الممارسة) الاقتصادية إلى ضوابط أخلاقية، نتيجة تفاعله مع أبعاد أخرى إنسانية، وهذا ما خلصت إليه الكثير من المناقشات حول الموضوع " **إن فكرتي الأساسية هي أن الاقتصاد ما هو أخلاقي** Moral **ولا هو لا أخلاقي**[76] Immoral **لأنه لا أخلاقي متطرف**[77] Amoral[78].

---

74 فرضيات، تسمى كذلك لصعوبة التدليل عليها، بالتالي تمثل إلى يومنا هذا موضوعا للنقاش الفلسفي وبالأخص لدي فلاسفة العلم.

75 Mongin, P. (2006, Mai). Value juudgments and value neutrality in economics. *Economica*, (*73*(290), pp. 257-286).

76 Amoral في اللّغة الفرنسية تعني، نكران للأخلاق الكونية العالمية، وهو الشخص الذي ليس له وعي وإدراك للخير أو للشر. أي ليس له وعي بوجود القيم الأخلاقية

77 Immoral رفض الأخلاق المشتركة، وليس رفض كل الأخلاق

78 Onfray, O., & Sponville, A. C. (2012, mars 10). *Onfray, Michel; Sponville, André Comte: Le capitalisme est-il moral ?* Récupéré sur Over blog: http://banquetonfray.over-blog.com/article-michel-onfray-et-andre-comte-sponville-le-capitalisme-est-il-moral-101301366.html

مراجع المحاضرة:

1 Mill, j. S, Principes d'économie politique, avec quelques-unes de leurs applications à l'économie social, Paris, Guillaumin, 1801, pp 1-2.

2 Richard Cantillon, Essai sur la nature du commerce en général, Paris, Institut Coppet, 2011, pp 67-94.

3Lionel Robins, Essai sur la nature et la signification de la science économique, Traduit de L'Anglais par Igor Krestovsky. Paris, Médicis, 1947, p 30.

4 Don Ross, Philosophy of Economics, In, Economics as Philosophy of science, Basingstoke, Palgrave Macmillan, 2014, pp 3-13.

5 فرع من علم الاقتصاد الذي يعمل على نمذجة العناصر الاقتصادية (المستهلكين، الأعمال المنزلية، المؤسسات)، والتداخل بينها خاصة على مستوى السوق.

6 Daniel Hausman, The inexact and separate science of economics, cambridge, Cambridge University Press, 1992, p 1.

7Marcel Mauss, Manuel d'ethnographie, Paris, Les classiques des sciences sociales, 2002, p 93. Récupéré sur : http://classiques.uqac.ca/classiques/mauss_marcel/manuel_ethnographie/manuel_ethnographie.pdf

8 العلوم الصلبة عبارة تطلق على العلوم الطبيعية، والعلوم الدقيقة المنطقية، في مقابل عبارة العلوم الناعمة التي تطلق على العلوم الإنسانية والاجتماعية، وفي مقابل العلوم الدقيقة التي يطلق عليها عبارة العلوم اللاإنسانية، الجامدة.

9 في مجال الاقتصاد، تقوم القرارات التي تتخذ حول عملية العرض والطلب على أساس الحسابات الرياضية، الاحتمالية، والإحصائية.

10 مجال من مجالات الرياضيات تهتم بالتكامل الوظيفي لخيارات الأفراد وهم "اللاعبين" الذين هم على وعي بهذا التداخل الوظيفي.

11 Serra.D, Un aperçu historique de l'économie expérimentale : des origines aux évolutions récentes , *l'Economie politique*, (*122*(05), 2012, pp. 749-780.

12Guala. F, the Methodology of experimental économics, Newyork, Combridge UP, 2005,pp 239-263.

13Plott. C, will economics Become an experimental science? *Southern Economic Journal*,(*57*(4), 1991, pp. 901-919.

14 Guala. F, the Methodology of experimental économics, Newyork, Combridge UP, 2005,pp 211-209.

15 Sen, A. (2009, juin 08). Nous devons repenser la notion de progrès. https://www.lemonde.fr/planete/article/2009/06/08/amartya-sen-nous-devons-repenser-la-notion-de-progres_1204007_3244.html?contributions. (A. Grégoire, & C. Laurence, Intervieweurs) Le monde: https://www.lemonde.fr/planete/article/2009/06/08/amartya-sen-nous-devons-repenser-la-notion-de-progres_1204007_3244.html

16مدرسة تفكير اقتصادي أسسها كينز، مبدأها هو أن ترك الأسواق لحالها لا يؤدي بالضرورة إلى أمثل وأفضل اقتصاد.

17 فرضيات، تسمى كذلك لصعوبة التدليل عليها، بالتالي تمثل إلى يومنا هذا موضوعا للنقاش الفلسفي وبالأخص لدي فلاسفة العلم.

18 Mongin, P. (2006, Mai). Value juudgments and value neutrality in economics. *Economica*, (*73*(290), pp. 257-286).

19Amoral في اللّغة الفرنسية تعني، نكران للأخلاق الكونية العالمية، وهو الشخص الذي ليس له وعي وإدراك للخير أو للشر. أي ليس له وعي بوجود القيم الأخلاقية

20 Immoral رفض الأخلاق المشتركة، وليس رفض كل الأخلاق

9– المحاضرة التاسعة:

مشكلات ابستمولوجية في الانثروبولوجيا والتاريخ

– الأنثروبولوجيا، المولد والمفهوم:

عرفت الأنثروبولوجيا منذ سنة 1850 توجهات نظرية مغايرة بحيث لم تتمكن من التأسيس لتقاليد علمية، وهذا راجع إلى تنوع، وتغيّر الثقافات مما أثّر على عليها، وفي إمكانية نظرة كونية في مجال دراسة المجتمعات الإنسانية.

ليس من السهل ضبط مفهوم الأنثروبولوجيا، خاصة إذا عليمنا أن مثل هذه العلوم التي تتناول كموضوع الجنس الإنساني Le genre humain، وهو موضوع يتصف بالسعة والتعقيد مما يجعل الإلمام به من الصعب بما كان.

ولدت الأنثروبولوجيا وتطورت خلال القرن 19، والذي عُرِفَ بقرن النزعة الاستعمارية، وقرن حاول العلماء الأنثروبولوجي فيه إثبات أن الإنسان الحديث هو نتاج تاريخ طبيعي طويل، وهل بإمكان هذا التاريخ تفسير التمايز الجسمي، والنفسي (العقلي)، والاجتماعي، الذي عمل الباحثون على كشفه في مختلف القارات؟ ولماذا الكائن الحي (الإنسان) الذي يتصف بالوحدة، يتأثر التغيرات الجماعية، مثلما هو حاصل في المجتمعات الحيوانية؟ وهل هذه التغيرات طبيعية، أم أنها تتعلق بنشاط الإنسان ذاته؟

إن الأنثروبولوجيا هي وليدة محاولة المفكرون الطبيعيون، والفلاسفة، وكذا الأنثروبولوجيون الاحترافيون، الإجابة عن هذه الأسئلة، معتمدين في ذلك على مناهج أساسها، في أغلب الأحيان، الملاحظة المباشرة.

– النظريات:

بالرغم من توجيه التجريبيون للباحثين الأنثروبولوجيين منهجيا، فإنهم بحاجة إلى أساس نظري في توجيه بحوثهم، لذلك نجدهم يستعيرون نماذجهم من: العلوم، والفلسفات الطبيعية، والسيسيولوجية، والسيكولوجية، التي تتعايش معها في وئام، وقد سطّرت الأنثروبولوجيا تاريخيا أربعة مراحل مرت بها:

- 1920-1850 Racialisme et Évolutionnisme
- 1940-180 Le diffusionnalisme et le premier culturalisme
- 1950-1920 Le fonctionnalisme britannique et le second culturalisme
- 180-1950 Le structuralisme et le néo-évolutionnisme [79].

إن تلاحق المدارس في الأنثروبولوجية يعطي انطباعا بأن هذا النشاط عير مستقر، وذو أبعاد غامضة وغير واضحة، خاصة بالنسبة لموضوعه، ومنهجه، ومبرراته، إلا أن هناك خيطا واصلا يربط هذه المواقف المتلاحقة وهذا ما نلاحظه من خلال موضوع الدراسة مثلا.

---

79 Jean-François Dortier, (Sous la direction), Dictionnaire des sciences humaines, p 1680.

بالنسبة للموضوعات التي تتناولها الأنثروبولوجيا:

- نظام القرابة والزواج
- أنماط الحكم والسلطة
- المعتقدات السحرية
- العادات والتقاليد

– الأنثروبولوجيا اليوم:

إن اكثر البحوث الأنثروبولوجية انتشارا في أوروبا اليوم:

الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية Anthropologie sociale et culturelle وهذا النوع من الدراسة هو الأكثر هيمنة، وهي في تنافس مع المقاربات الطبيعية المتأثرة بالداروينية في أمريكا، مثل: الإيكولوجيا الثقافية، وعلم النفس التطوري.

في فرنسا عرفت الأنثروبولوجيا نوعين من التغيرات، احداها يتعلق بالموضوع، والأخرى بالمنهج. أما من حيث الموضوع، فيتعلق الأمر بظهور موضوعات جديدة منها:

- الأنثروبولوجيا الحضارية
- إثنولوجيا العالَم المعاصر

وفي الوقت نفسه تظهر كثير من الشكوك والانتقادات حول هذا النشاط، خاصة تلك الآتية من البلدان الأنجلو-سكسونية. إن مختلف التيارات تعمل على معارضة طريقة نقل المعلومات، والكتابة، وما يقدمه الأنثروبولوجي منها صاحبة النظرة الاستعمارية. و**بالتالي يفقد العلم بُعده الموضوعي**، مما يجعله ابستمولوجيا عرضة للنقد خاصة بعد ظهور المقاربات الجديدة الناتجة عن علم النفس المعرفي، أو التحليل النفسي.

– الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا:

– الاختلاف: في فرنسا يستعملان بنفس المعنى.

منهجيا: الكلمات، الأنثروبولوجيا، والإثنولوجيا Ethnologie، والإثنوغرافيا Ethnographie تكوِّن صورة تمتد من الملاحظة إلى النظرية.

الإثنوغرافي: ينقل الأحداث (الوقائع)

الإثنولوجي: يحلل ويقوم بنمذجة وسائله

الأنثروبولوجي: يهتم بالمقارنات ويقدم النتائج، ويبني النظريات.

بالأمس، كانت هذه النشاطات الثلاثة متميزة، أما اليوم فهي ملتحمة، بحيث ان الإنثنو/ أنثروبولوجي يبدأ كونه إثنوغرافيفي الميدان، وإثنولوجي حين يحرر ويكتب، والأنثروبولوجي حين يقارن ويميز الوسائل عن أخرى، أو ينتقد منهجه، أو يعمم أفكاره.

– لكلا النشاطين تاريخ: في القرن 19 في فرنسا، كانت **الأنثروبولوجيا** عبارة عن علم طبيعي، تهتم بدراسة الأنواع المادية للقارات الخمس. اما الإثنولوجيا، في بداية القرن، كانت تعني التصنيف الثقافي لهذه الأنواع الطبيعية. في سنة 1950 قام كل من العالمان: كلود لفي ستروس، وجورج بلانديه Georges Balandier وهما يحاولان التوسيع في موضوع نشاطهما، استعملا مفهوم الأنثروبولوجيا بالمعنى الشاسع، والشائع في البلدان الأجلو–سكسونية، أي ارجاعها، إلى معنى الأنثروبولوجيا الاجتماعية، والأنثروبولوجيا الثقافية. ومهما يكن، فحين يتعلق الأمر بنشاط يقوم على معاينة الميادين، يسمى من دون شك إثنولوجيا[80].

– أنثروبولوجيا أم أنثروبولوجيات

لا يمكن الحديث عن نوع واحد من الأنثروبولوجيا كونها تتداخل مع كثير من الشعب المعرفية وتستعين بها فهي تتفرع إلى:

– أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية.

– أنثروبولوجيا اللّغة.

– أنثروبولوجيا فيزيائية.

– علم الحفريات (الأركيولوجيا).

بالرغم من محاولة الأنثروبولوجيين، التأسيس لعلمية نشاطهم، يبقى هذا العلم فيه من النسبية ما يجعل منه بحاجة إلى تطوير اكثر، ذلك لأنه بحاجة إلى علوم ومباحث اخرى، كالتاريخ، وهذا الأخير يعاني هو كذلك من نقص في علميته، كما يحتاج إلى علم الحفريات، وعلوم اخرى منها الإنسانية تبحث عن نفسها وهي علوم ليست كذلك بالدقيق، وهكذا يؤسس هذا العلم على تقاطعه مع ما هو أقل منه علمية. ومن جهة أخرى يصعب وجود انثروبولوجيا ليس وراءها دافع ايديولوجي، وهذا ينقص من موضوعيتها، ويجعلها في خدمة المصالح بدلا من خدمة الإنسان.

– مشكلات علم التاريخ:

التاريخ، أو علم الماضي، لا ينقل لنا ما حدث في الماضي فحسب، بل هو مرآة للبراديغمات السياسية، والدينية، والعلمية.

خلال القرن 19 عرف التاريخ حركة غير مسبوقة، واحتل بذلك مكانة هامة بين العلوم الإنسانية، وإن تم ذلك لأغراض علمية واخرى أكثرها غير علمية (استعمارية، ايديولوجية، دينية...).

80 Jean-François Dortier, (Sous la direction), Dictionnaire des sciences humaines, pp 1684-1985.

يرتبط هذا النشاط على العموم بالتاريخ الوطني Histoire nationale، كما يرتبط بالدول والشعوب التي تعمل على اعادة رسم تاريخها. للتاريخ في هذه الحالة، اهمية قصوى لدى بعض الشعوب والدول، فهو مثلما عبّر عنه Paul Veyne في كتابه: Comment on écrit l'histoire ? 1971 بقوله: "التاريخ رواية حقيقية" بكل بساطة لأنه مطالب بتحري الحقيقة وقول الحقيقة.

يحمل التاريخ عبر الزمن الكثير من التحديات الكبيرة. في البداية، في الجانب الديني، والسياسي، واليوم في الجانب الابستمولوجي، التي جعلت منه مركز النقاشات والجدل الحاد في أوساط المؤرخين.

هل يمكن أن يكون التاريخ علما؟ أو علما اجتماعيا؟ فإذا كان الجواب بنعم، فما هي مبادئه، ومناهجه، وموضوعاته؟ وكيف يمكن اثبات مشروعيته العلمية؟ هل يتصف البحث التاريخي بالموضوعية؟ هذه الأسئلة في الحقيقة ليست جديدة، لكن برزت بشكل واضح خلال القرن 19 أثناء مولد المدارس التاريخية التي أظهرت نوع من التفكير التاريخي حول ذا النشاط.

– التأريخ Historiographie أو علم التاريخ، أو تاريخ التاريخ، ظهر في القرن 19 في ألمانيا، وابتداء من القرن 20 احتل التأريخ مكانة كبرى لدى المؤرخين بجميع جنسياتهم، الذين واجهوا المشكلة: كيف نؤرخ؟ وهو الموضوع الذي دخل الجامعات في تدريس التاريخ.

– الأصول:

– عند الإغريق: بداية مع هيرودوت الإغريقي Hérodote (484-425 ق م)، الذي كان يروي قصص الحروب بين الإغريق والفرس، وقد اسس للرواية التاريخية من خلال ملاحظاته الدقيقة أثناء رحلاته، والشعوب التي يلتقي بها، وقد كان يقول:"إن الزمن لا يلغي عمل الرجال، وأن الانتصارات المحققة سواء من طرف الإغريقيين، أو من طرف البربر، لا تنسى."[81] ثم مع ثوقيديدس (ثوقيديد) Thucydide، (460-395 ق م) مؤرخ إغريقي شهد الحرب التي اشتعلت بين أثينا وإسبرتا 431-404 ق م، ويعتبر مثله، مثل هيرودوت مؤسس لعلم التاريخ.

– في القرون الوسطى: تحول التاريخ إلى تاريخ مسيحي يركز على تقاليد العهد القديم، والإنجيل، وهو الأكثر مقتا لاعتباره تابع للكنيسة واللاهوت.

– في عصر النهضة والتنوير: حتى القرن 18 اتّخذ التفكير التاريخي اتجاهات متعددة، من نزعة إنسانية، وأخرى إلحادية، الذين بدأوا في تطبيق منهج يعتمد على تحليل الوثائق الأصلية (الدينية وغيرها)، والتحليل النقدي للصول.

جاء بعدهم تجار وجامعي التُحَفْ Les antiquaires، وبفعل شغفهم بالآثار الإغريقية، والرومانية، فإنهم واصلوا عملهم واضعين بذلك أسس عملية الاطلاع والمتابعة الحديثة.

---

81 Hérodote, Histoire : prologue, Tome 1, Livre 1.

في القرن 18 أظهر الفلاسفة، أمثال: مونتسكيو، ديدرو، كوندوسييه وغيرهم، اهتماما بالغا للتاريخ، وأسسوا **لفلسفة التاريخ**، موجهة إلى التساؤل حول أصل الأمم، وتاريخ الحضارة، ومسيرة التطور الإنساني. وفي القرن 19 وبتطور العقلانية، عمل الفلاسفة أمثال: كانط، هيغل، ماركس كل حسب طريقته، على التأسيس لتاريخ الإنسانية كطريق نحو الحرية تحت نور العقل.

دائما في القرن 19 ظهرور أنماط من التفكير التاريخي:

- تاريخ الشعوب الرومانية والجرمانية
- التاريخ الاقتصادي
- التاريخ الثقافي
- التاريخ العام

التاريخ المنهجي، ناتج عن الوضعية، أو التاريخ الوضعي.

– علم الاجتماع في مواجهة المؤرخين:

بعد تطور علم الاجتماع على يد دوركهايم، وجّه بعض علماء الاجتماع أمثال: Simiand نقدا للتقليد الوضعي، متهما إياه باختزال التاريخ في وصف الظواهر الخطيرة، والحوادث بالصدفة، في حين علم الاجتماع قادر على وضع قوانين وبناء نظم، وبالتالي يدعو سيميوند متحد المؤرخين إلى التخلص من الأصنام الثلاثة:

السياسي – الكرونولوجي – والفرد، اي التخلص من تاريخ الحروب والمعارك المؤسس على التتبع الكرونولوجي للأحداث العسكرية، وهيمنة السلاطين.

إن هذا النقد له ما يبرره من الناحية الأبستمولوجيا، ذلك أن التأمل في موضوع التاريخ، ومنهجه، ونتائجه ينطبق عليه الحكم، الذي ينطبق على العلوم الإنسانية عامة، أي للأسباب التالية:

- من حيث الموضوع: الحادثة التاريخية التي تتصف بأنها إنسانية، واجتماعية وفرية من نوعها، لا تتكرر
- من حيث المنهج، الأحدث منه: النقد التاريخي، والتاريخ المقارن، والإستدلال (في حالة وجود ثغرة أو حلقة مفقودة في التاريخ يسدها المؤرخ من خلال الاستدلال وهذا نوع من إقحام المؤرخ ذاتيته)، هذه الطرق في التعامل مع الحادثة التاريخية لا تتصف بالدقة المطلوبة، نتيجة تأثير بعض العوامل الذاتية: مثل التشيع للجنس أو العرق، أو التحيز لإيديولوجية معينة، التأثير الديني، وكل هذ يؤول إلى الكذب في التاريخ، أو كما عبّر عنه ابن خلدون.

في اعتقادي، أن التاريخ هو أكثر العلوم الإنسانية عرضة للخطأ، إلى درجة أننا لا يمكن الحديث فيه عن الحقيقة التاريخية، وهذا بالرغم من تطور وسائل تسجيل الأحداث التاريخية، التي غالبا ما تتعرض إلى التزييف.

الكذب في التاريخ لإبن خلدون (مشكلة الذاتية)

يرجع ابن خلدون الكذب في التاريخ إلى عدة أسباب منها:

- التشيع للأراء والمذاهب.
- الثقة بالناقلين.
- الذهول عن المقاصد. فكثير من الناقلين لا يعرف القصد مما يروي، وينقل الخبر على ما في ظنه.
- توهم الصدق وهو كثير.
- الجهل بتطبيق الأحوال، نقل الحادث على الصورة التي رآها.
- تقرب من أصحاب المراتب بالثناء والمدح .
- الجهل بطبائع الأحوال في العمران[82].

بالرغم من تطور أدوات حفظ المعلومة والخبر والحوادث، وذلك بتوظيف مختلف الوسائل التقنية، إلاّ أن علم التاريخ لا زال يعاني من نقص في علميته، وهذا راجع إلى عناصر التحليل والتأويل وعرض الخبر. وكونه متسق بالطبيعة البشرية لأن الإنسان هو الذي يصنع التاريخ، فإن الطابع العام الذي ينطبع به، هو الطابع الإنساني وما يترتب عن ذلك من نقص.

82 مقدمة ابن خلدون

مراجع المحاضرة:

1 Jean-François Dortier, (Sous la direction), Dictionnaire des sciences humaines, p 1680.
2 Jean-François Dortier, (Sous la direction), Dictionnaire des sciences humaines, pp 1684-1985.
3 Hérodote, Histoire : prologue, Tome 1, Livre 1.
4 مقدمة ابن خلدون

10- المحاضرة العاشرة

مشكلات ابستمولوجية في علم السياسة:

- السياسة (الأصول والوظيفة):

1- السياسة عند أرسطو Aristote :

تعتبر السياسة عند ارسطو أعلى درجات المعرفة وارقى المعارف وأنبلها، لأنها قادرة على توجيهنا إلى معرفة الخير الأسمى، وهي غاية كل نشاطاتنا، هذا ما نقله أرسطو في كتابه "السياسة" La politique، الذي يمكن اعتباره أقدم المحاولات في الفلسفة السياسية في العهد الإغريقي.

يبني أرسطو هذا التعريف للسياسة على مبادئ:

1- أن كل الناس كائنات عاقلة حتى الهمجيين منهم، والنساء والعبيد.

2- في نظرية النظم السياسية يوظف أرسطو بعض المفاهيم الأساسية: الشكل، العيار والغاية. إن الأهم من بين هذه المعايير أو المبادئ، مبدأ اتخاذ القرار، أو الحزم، وهو القياس أو الميزان، وهو الوسطية، وهذه الأخير هي أهم قاعدة في الأخلاق عند أرسطو، لأنها تنطبق حتى على الحقائق الكمية مثل: سكان المدينة، كما تنطبق على المعاني المجردة، مثل: فضائل المواطنين، إنها القاعدة الضامنة للحياة الهنيئة للدول، وللأفراد، وهي رابطة تامة. مع أن السعادة تختلف عن النجاح، إلاّ أنها تُفهم على أنها إنجاز، وتحقيق روحي للمواطنين، وهي بالذات غاية الدولة والمتمثلة في تحقيق الفضيلة، خاصة الفضائل الأربعة بالنسبة لرسطو:

- الشجاعة Le courage
- الاعتدال La tempérance
- العدل La justice
- الحكمة La sagesse

الإنسان حيوان بطبعه، أي أنه كائن محكوم عليه العيش في مجتمع، وأن المدينة، نفسها، حقيقة طبيعية، ولم توجد لا نتيجة عقد، ولا نتيجة الصدفة، بمعنى، وجود المدينة كامن في مقتضيات الطبيعة الإنسانية[83].

---

83 أرسطوطاليس، السياسة، ترجمة: أحمد لطفي السيد، الكتاب الرابع(النظرية العامة للجمهورية الفاضلة)، ط1، منشورات الجمل، بيروت، 2009.

2- السياسة عند أفلاطون Platon:

على العكس من موقف أرسطو، الإنسان ليس بالحيوان السياسي جعل للعيش في مدينة، ذلك لأن كل إنسان هو بالنسبة لآخر عدو، وهو عدو لنفسه، لذلك، فإن دور السياسة، هو خلق نوع من الوحدة بوسطة الفضيلة والتربية.

يتحدث أفلاطون عن الفلسفة السياسية ضمن مؤلفاته: الجمهورية La république، السياسة، القوانين Les lois.

- تصنيف النُّظُمْ السياسية عند أفلاطون:

في كتاب الجمهورية يصف لنا أفلاطون الكيفية التي ننتقل بها من نظام سياسي إلى آخر، ويعتبر أن هذا التتابع ليس له قيمة تاريخية مثل ما هو الحال في كتاب طيماوس Le Timée، بل هو عرض لمنطق التسلسل، وهي خمسة:

1- الأرستوقراطية L'aristocratie أفضل النظم السياسية وأمثلها، لأن الملك فيها فيلسوفا (الفيلسوف الملك) Le philosophe roi الذي يجمع بين السلطة والحكمة. وهو عبارة عن مجموعة من الحكماء (فلاسفة) يحكمون المدينة بما يعتقدون أنه خير وحقيقي. في هذا المجتمع، الفلاسفة يحكمون، الجنود والشرطة يفرضون احترام القوانين، أما طبقة العمال المنتجين فوظيفتهم العمل والطاعة. وكل هذا من أجل حياة أفضل. إن هذا التصور المثالي للمجتمع، ما هو إلاّ تعبيرا عن نظام شمولي.

هذا النظام متبوع بأربعة أنظمة سيئة:

2- التيموقراطية Timocratie نظام حكم مبني على اساس الشرف.

3- الأولغارشية L'oligarchie نظام حكم مبني على اساس الثروة.

4- الديموقراطية La démocratie نظام حكم مبني على اساس المساواة.

5- الطاغية La tyrannie نظام حكم مبني على أساس الأهواء، وهو النظام الذي يعلن نهاية السياسة، لأنه ياغي القوانين مما يؤدي إلى اختلال التوازن في المدينة، والذي يظهر عند الانتقال من نظام إلى آخر، وهذا يشبه تماما الاختلال الحاصل بين مراتب النفس وأقسامها.

لا تعني ممارسة السياسة، التحول إلى سياسي، بل إلى جانب القدرة على ممارسة السياسة، امتلاك معرفة خاصة، أو علم ضروري لكل العلوم مثل الرياضيات. يوظف أفلاطون ثلاثة مناهج في البحث لتوضيح معنى السياسي Le politique:

- التقسيم La division: يجعل السياسي مثل الكاهن (الراعي) الذي يهتم بقطيعه، وذلك بجمع الأشياء المتشابهة، ثم محاولة تقسيمها للحصول على مجموعات فرعية متجانسة، وهذه الطريقة في نظر أفلاطون فاشلة، لأنها لا تأخذ بالاعتبار مختلف الوظائف المتعلقة بالسياسي.

– الأسطورة Le mythe: يتجه أفلاطون إلى البحث عن معنى السياسة من خلال الأسطورة، بحيث ينطلق من عناية كرونوس[84] Kronos الذي يهتم برعاية البشر، إلى درجة أنهم لا يجدون شيء يقومون به، إلا أن هذه الحياة بالنسبة لأفلاطون سلبية، لأن بمجرد ما يتخلى كرونوس عن البشر، تسير الحياة في الاتجاه المعاكس، فمثلا، تبدأ حياة الإنسان بمرحلة الشيخوخة وتنتهي إلى الشباب، وهذا يؤدي إلى الفشل.

– البراديغم Le paradigme من فشل الأساس الأسطوري في تعريف السياسة، ينطلق أفلاطون من البراديغم، بحيث يشبّه عناية الساسي بالرعية، بتقنية حياكة الصوف، ذلك لأن الحياكة تسمح بتوفير اللباس الذي يحمي الإنسان، فالحائك يستعمل مواد معدة مسبقا وبواسطة المساعدين، إلا أنه يصطدم بمنافسين حائكي الحرير، أو من طرف حلفاء، من هنا يتسائل المحاورون عن العلاقة بين الحياكة والسياسة[85].

بعد أفلاطون وأرسطو، يأتي كل من هوبز، ولوك، مانتسكيو، فلاسفة اهتموا بالسياسة، وصولا إلى المعاصرين منهم أمثال، الفيلسوف الألماني ليو شتراوس Léo Strauss (1899-1937)، والمشرع الألماني كارل شميث Carl Shmidt (188-1985)، الذين بذلوا كل ما بوسعهم من أجل فهم الطبيعة العميقة للسياسة، وتحليل نختلف أنماط الحكم لمعرفة ما هو الأفضل.

كان لا بد من الانتظار القرن العشرين مولد علم السياسة مستقلا عن الفلسفة، بحيث لم تعد غايته الكشف عن أفضل نظام حكم، بل غايته تحليل آليات السلطة Mécanisme du pouvoir.

هل يتعلق الأمر هنا بعلم السياسة أم بالعلوم السياسية؟

يعتقد البعض أمثال العلم الاجتماعي الإيطالي باريتو Vilfredo Pareto (1848-1923)، أن علم السياسة هو نقطة تقاطع لمختلف الأنشطة والعلوم، لأنه نشأ في أحضان الدراسات السوسيولوجيا حول: النُخَب السياسية[86]، والديموقراطية، والعلوم الإدارية، الحقوق، الفلسفة السياسية، ثم أصبح هذا العلم أكثر غنا بدراسته حول العلاقات الخارجية (الدولية)، أو الجيوسياسية، وحول الأنثروبولوجيا السياسية، وعلم النفس السياسي. كل من هذه الشعب مستقلة نسبيا، لذلك نتحدث بشكل عام عن علوم سياسية، أي بالجمع.

---

84 كرونوس Kronos أي المكلّل أو المتوّج.

85 Platon, Le politique, ou De la royauté, livre pdf, Trad : Émile Chambry, Édition de référence : Garnier –Flammarion,

86 بحيث يعتقد أن النخبة التي لا تستطيع أن تخوض حربا، لا بد أن تترك مكانها لنخبة أخرى أقوى منها، وقد ترتب عن ذلك اتهامه بالفاشية وتشجيع استعمال القوة والعنف من أجل النظام.

- Raymond Aron, Introduction à la philosophie politique (Démocratie et révolution), Coll, livre de poche, Paris, Éditions de Fallois, 1997.

هذه المقاربات استعملت في دراسة الظواهر السياسية وكانت محا نقاش في الجامعات الفرنسية منذ بداية تدريس علم السياسة: ففي السبعينات 1970 حاول بعض الأساتذة رسم حدود، ومناهج هذا العلم، البعض الآخر، عل العكس من ذلك، حاول اعطاء المجال الأوسع لعلم السياسة، وذلك بجعله متفتح ومستعمل لمجمل العلوم الإنسانية.

– علم السياسة والفلسفة السياسية:

يبدو من الوهلة الأولى أن الربط بين مفهومي العلم والسياسة أمرا في غاية الصعوبة تصورا، كونهما واقعان متميزان من حيث الطبيعة. لذلك يتطلب الربط بينهما، أو على الأقل تقريبهما، تحليلا عميقا مقنعا، ويرجع هذا إلى عدة أسباب، منها: أن السياسة لم تعرف إلاّ بكونها فنا Un art أكثر منها علما، في حين، أن هذا الأخير له مواصفاته، من موضوعية ودقة. لا يمنعنا ذلك من محاولة ضبط مفهوم السياسة، وربطه بمفهوم العلم.

1– السياسة La Politique: إن تعدد معان هذه الكلمة جعل منها إما متواجدة في كل مجال، أو تلاشيها لعدم القدرة على ضبط معناها. إلاّ أن الثابت فيها، هو أصلها اليوناني أين لها معنى "شؤون المدينة". والملاحظ أن معنى هذه الكلمة يتغير حسب الاستعمال.

إنها المشهد La scène، أو هي حقل أو الميدان المواجهة بين الأفراد والجماعات في تنافس حول ممارسة السلطة والحكم مثلما عبّر عنها بورديو Pierre Bourdieu ، وهي نوع من السباق بين الأحزاب وشخصيات سياسية من أجل التحكم في الدولة، وفي الجماعات المحلية، والمؤسسات الدولية. إن هذا التعريف يحيل إلى بعض المعاني مثل، ممارسة السياسة، أو القيام بالاختيار السياسي. وتتخذ السياسة معنى آخر في عبارة: السياسة الحكومية، السياسة الصحية، السياسة العمومية وغيرها من المعاني. ومعنى السياسة في الأخير يمكن أن يدل على فن حكم (ممارس السلطة) الأفراد في المجتمع[87].

في حين مصطلح الحياة السياسية La vie politique يحيلنا إلى تصوّر بعض الوظائف الخاصة ببعض الأشخاص (ممثلين، مرشحين...)، أو تصور بعض المؤسسات (أحزاب، جماعات، الدول).

– السياسة اسم مؤنث يشير إلى مجموعة النشاطات، وإلى فضاء خاص تنافسي من أجل الحكم وممارسة السلطة، أي الحياة السياسية.

يعرّف ماكس فيبر السياسة في قوله: "هي مجموعة الجهود المبذولة من أجل المشاركة في السلطة (الحكم)، أو التأثير على عملية تقسيم الحكم، سواء بين الدول، أو بين مختلف الجماعات في نفس الدولة"[88]. بشكل عام هذا التعريف يتطابق مع الاستعمال العادي (اليومي) للكلمة.

---

87 Philippe Braud, La science politique, 11ème édition, coll Que s'ais je ? Paris, puf, p 9.

88 Max weber, Le savant et le politique, 1959, coll : LES CLASSIQUES DES SCIENCES SOCIALES, Paris, Union Generale d'Editions, 1963, p 87.

يمكن القول، أن الحديث عن السياسة، هو حديث حول النظرة الشاملة والعلمية للظواهر السياسية، وللبحث المنظم حول محدداتها. إذن النشاطات السياسية تنتمي إلى مجال الحياة السياسية، وتسجل حظورها في المجتمع كله. وقد ترجع كل هذه المعاني وتشير بشكل مباشر إلى الحكومة Le gouvernement مجتمع ما في معناها الواسع.

إن الملاحظ في كل هذه التعريفات، هو استحالة الحديث، سواء عن الحياة السياسية، أو النشاط السياسي، أو المؤسسات السياسية إلاّ في سياق مجتمعي، أي في صورتها الاجتماعية، وهذا يثبت بأن الكثير من الظواهر التي نعتقد بأنها اجتماعيه، أو اقتصادية، سرعان ما تتحول إلى ظواهر سياسية، مثل: البطالة، العمل، السكن والفكر وغيرها[89]. فإذا كان تعريف السياسة بأنها علم الحوادث السياسية، فإن السؤال هو: ما الحادث السياسي؟ إن الحقائق السياسية ليست سياسية بالطبيعة، ذلك لأن البعد السياسي لحقيقة ما متغيّر في الزمان والمكان، فليس كل شيء سياسي، لكن، كل حدث اجتماعي، هو حدث قابل للتسييس Politisable، لذلك علينا أن نعتبر ما هو سياسي، كبُعد اساسي لكل ظاهرة اجتماعية.

– **علم السياسة:** دراسة أكاديمية حول الظواهر السياسية، وهو علم من العلوم الاجتماعية، من فروعه: النظرية السياسية، علم الاجتماع السياسي، العلوم الإدارية، العلاقات الخارجية، ويضيف بعض المتخصصين فيه، فرع الدراسات الاستراتيجية. أما تخصصاته الفرعية منها: الفلسفة السياسية، الديبلوماسية والعلاقات أو الدراسات الدولية، السياسة المقارنة، النظرية السياسية، الإدارة العمومية، السياسات العمومية.

– **الفلسفة السياسية:** هي شعبة من شعب الفلسفة، تهتم بدراسة المسائل المتعلقة بالسلطة السياسية، وبالدولة، والحكومة، والقانون، والسياسة، والعدل، والخير المشترك. وهي من شُعب فلسفة الفعل، إلى جانب فلسفة القانون، وفلسفة الأخلاق. وكونها مبحث من مباحث الفلسفة، فهي متميزة عن الدراسات في مجال العلوم الإنسانية، والاجتماعية مثل: السوسيولوجيا، التاريخ، علم النفس، وعلم النفس السياسي، وعلم السياسة، وهي الفروع التي تبني دراستها على ما له وجود تاريخي وخاص. بينما الفلسفة السياسية تبحث عما يشكل وجوده وجودا كونيا، وتهتم بسؤال الحق، وسؤال الشرعية. ويعتبر الفيلسوف والكاتب الفرنسي في عصر الأنوار مونتسكيو Montesquieu (1689-1755) الأب الحقيقي للفلسفة السياسية، ويشهد له مؤلفة الكبير: روح القوانين De l’esprit des lois 1748 ومن خلال دراسته للقوانين، والمجتمعات الإنسانية على الصعيد السياسي، يميّز بين ثلاثة أنواع من الحكومات:

– ملكي (الفردي) Monarchique

– مستبد Despotique

89 Dominique Chagnolland De Sabouret, Introduction à la science politique, 8ème Edition, Paris, Dalloz, 2018, p 8.

– جمهوري Républicain. في نظره لا ينبغي أن نضع الهيئات الثلاث: التشريعية، والقضائية، والتنفيذية في أيدٍ واحدة، كما أنه حارب العبودية.

الملاحظ، أن الفلسفة السياسية هي تخصص فرعي من علم السياسة، يدل هذا علة قوة ارتباطهما اليوم بحيث أن الدراسات في العلوم السياسية تقتضي دراسات في الفلسفة السياسية.

– مشكلة موضوع علم السياسة:

تعتبر السياسة هيئة فعلية، أي فعل ينتمي إلى الأفعال العمومية (فعل عمومي)، ويرجع ذلك إلى طابعها العمومي. كما أن الوظيفة العمومية تهدف إلى خلق نظام اجتماعي وسياسي يتحكم في التوترات ، ويعمل على ادماج الأفراد والجماعات في المجتمع. يبقى أن هذه الوظيفة مرتبطة بالحكم الذي توسعت دائرة تدخله حتى أصبح يشكل كل نواحي الحياة الاجتماعية. من هنا يمكن التساؤل عن الموضوعات التي يشتغل عليها الباحث السياسي؟ انطلاق من التسليم بتوسع دائرة تدخل السلطات العمومية، وهذا حتى بداية القرن التاسع عشر (19)، أين ظهر علم السياسة كآخر العلوم الاجتماعية تأسيسا نتيجة تطورات معينة مثل: تطور البيروقراطية الحديثة، وعملية علمنة الانتخاب. ومن مظاهره الجديدة، أصبحت الحكومة لا تتدخل إلا في المسائل المالية، والعسكرية، والحفاظ على النظام العام، والمواصلات.

من هنا يمكن تحديد موضوع علم السياسة من خلال مقاربتين: **الأولى** المتعلقة بالتخصصات الفرعية لهذا العلم وهي أربعة:

نظرية سياسية – سوسيولوجيا سياسية– الحَوْكَمَة والعمل العام – علاقات خارجية.

الثانية: التسليم من أن كل مجتمع ينبغي أن تكون غايته إنتاج وإعادة إنتاج ما هو ضروري للمجتمع بطُرُقٍ ونُظُمٍ ثلاثة: **النظام الأول**، إنتاج الحاجات المادية، والمصلحية. **الثاني**، نظام إنتاج ما هو رمزي، تذكاري، تواصلي من أجل لم الشمل والوحدة، كالروايات التاريخية، والأعمال الفنية، أو أيديولوجيا معينة، أو طرق التواصل والحوار. **الثالث**، إنتاج القوانين التي تحقق العدالة، والتي تتصف بالإلزام ولها علاقة بالنظامين السابقين بحيث يمكن أن تلزم السلطة بعض المؤسسات الإنتاجية باحترام بعض القواعد التي تتماشى وسياسة البلاد.

بناء على المقاربتين يمكن التفصيل في موضوع علم السياسة والذي يتفرع إلى الكثير من الظواهر والمظاهر يمكن حصرها وذلك من خلال الإجابة عن التساؤل التالي: فما هي الموضوعات التي يبحث فيها العالم السياسي؟

1– القادة السياسيين:

في كل مجتمع هناك من يمارس الحكم ومن يماي القوانين ويعمل على احترامها، وقد يلجئ إلى القوة لتحقيق ذلك. الحكم أو السلطة اليوم تتحكم فيها دساتير وقوانين، وتقوم مقاربة التحليل العلمي على ما يلي:

أ– تعيين الطبقة السياسية اجتماعيا: وقد عملة الدراسات في المجال السياسي في الثمانينات 1980 على:

- توضيح طبيعة مكونات الطبقة السياسية: الجنس، السن، الأصول الاجتماعية، المجال المهني.
- توضيح آليات الانتخاب الاجتماعي والسياسي، مستوى التكوين، العلاقات بتنظيمات معينة.
- الاهتمام بمحيط المسؤولين السياسيين، وبمكونات الوزارية أو الرئاسية.

إن المعنى الذي تحمله كلمة المسار السياسي Le cursus politique هو الإشارة إلى مختلف المراحل التي تؤدي إلى ولوج الحياة السياسية الاحترافية، والارتقاء في المناصب السياسية.

المشكلة تكمن في الاجابة عن السؤال: هل هناك طبقة معينة من أجل الحكم والقيادة؟ القول بوجود طبقة خاصة معناه الإعلان عن حكم أوليغارشي. القول بالعكس، وأن هناك طبقات وليس طبقة معينة، هو إعلان عن بنية متعددة الأنظمة في السلطة أو في النظام السياسي.

ب– وصف الآليات والصلاحيات المؤسساتية للأعضاء القادة، وهي المقاربة الثانية، والمتمثلة في عملية تصنيف أنظمة الحكم، وتبنى هذه العملية على أساس البحث في أنماط توزيع الصلاحيات بين الجهاز التشريعي، والجهاز التنفيذي، وعنه ينجم إما نظام حكم متواري، أو نظام حكم متعارض السلطات، اليوم بعض المجتمعات تعاني من تعارض سلطة الشعب مع سلطة الدولة، وهذا التعارض يزيد من تعقيد التحليل والبحث العلمي السياسي.

ج– تحليل العمل (الوظيف) العمومي، أي تحليل السياسة العامة السائدة تحت رقابة القادة السياسيين، وهو اليوم مجال بحث علمي مهم.

2– الإدارة العامة:

ما يلفت الانتباه هو الزيادة في عدد الإداريين، وفي العمل الإداري الذي يميز المجتمعات اليوم. ينظر "ماكس فيبر" للعمل الإداري (البيروقراطية) نظرة إيجابية، بحيث يربطه بتطور الحكم الرشيد، وفي هذا يقول:" البيروقراطية هي الطريقة الوحيدة الأكثر عقلانية المعروفة في ممارسة مراقبة حتمية على البشر[90]".

في حين يقدم الرجل الثوري الروسي تروتسكي Léon Trotski (1879-1940) انتقادات للفكر الستاليني، وقد أثّرت أفكاره على علم الاجتماع الفرنسي، كما أنها شجعت على تطور التحليلات السياسية.

أفرزت التحليلات الإدارية ثلاثة مقاربات:

- المقاربة القانونية التي اهتمت بالمشكلات المؤسساتية.
- المقاربة الاجتماعية التي اهتمت بالأصول الاجتماعية للموظفين العموميين.

---

90 Bureaucratie. Le moyen le plus rationnel que l'on connaisse pour exercer un contrôle impératif sur des êtres humains.
- Max Weber, Économie et société : L'organisation et les puissances de la société dans leur rapport avec l'économie, Paris, PLON, 1971.

– المقاربة الإدارية، كثيرا ما ترتبط بالأعمال الاقتصادية والتسيير، وتهتم بالنظر في خصائص العقلانية والقرار الإداري حول تقييم الفعاليات والكفاءات النتائج بالنظر إلى الوسائل البشرية والمالية المتاحة والمسخرة.

3– أحزاب وجماعات المصالح:

للأحزاب والجماعات مصالح، والتي تتسبب في التحايل على الديموقراطية، هذه الأحزاب والجماعات عبارة عن تنظيمات التي تهتم أكثر بالتوقعات الاجتماعية Attentes sociales محاولة البعض منهم إعطاء بعض الإجابات على المشهد السياسي من أجل ضمان عهدة لممارسة السلطة والحكم، والبعض الآخر يبحث في كيفية لتأثير في المسؤولين السياسيين من أجل المصلحة. من هذه الأحزاء والجماعات:

– الأحزاب السياسية: وهي عبارة عن آلات انتخابية، وساحات النقاش، تركز أكثر جهودها على المواعيد الإنتخابية.

– مجموعات المصالح: غايتها التأثير على السلطات العمومية.

4– المواطنون: أصناف التحليل وآليات التصنيف:

طبعا، المجتمع السياسي يتكون من أفراد التي تربطهم علاقات متنوعة، – **اقتصادية:** بحيث يكون منهم المنتجون، والمستهلكون، العاملون والقاعدون، المتقاعدون والبطالون. **اجتماعية ثقافية:** اللغة، الدين، الانتماء الاجتماعي.

– إدارية وسياسية: ينظر من ناحية دافعي الضرائب، أو مدافعين عن الحقوق، وطنيين أو أجانب، أو مواطنين. من أهم المشكلات التي تتسبب فيها هذه العلاقات:

– مشكلة الطبقات الاجتماعية: مصطلح الطبقات الاجتماعية هو مصطلح ماركسي، وهو كذلك موضوع نقاش اجتماعي على الدوام، ومنذ القدم. ويعتبر تعيين حدود الطبقات الاجتماعية وكذا العلاقة الحركية توافق أو صراع، من التحديات العلمية نظرا لتعقيدها. ويعتبر رأس المال الثقافي Capital culturel من المعطيات التي تؤثر في رسم الحدود بين الطبقات الاجتماعية في نظر بيار بورديو Pierre Bourdieu، كمل يعتبره من جهة أخرى عنصر اساسي في التحليل.

– مشكلة الهوية: يتحدث ماكس فسبر في هذا المجال حول قيمة الشعور بالانتماء إلى مجتمع معين، ومتميز عن أفراد المجتمعات الأخرى، نحن /الآخرين، وما لهذا الشعور من تأثير هذه العلاقات الاجتماعية الواقعية، وتأثيرها على النظام السياسي خاصة في مسألة التصنيف الاجتماعي.

– العمل السياسي:

يخضع العمل السياسي إلى أربعة حركات متتالية وغير مستقلة عن بعضها البعض:

–التنشئة السياسية الاجتماعية: كل ما يمكن أن يكتسبه الفرد في المجتمع.

– التعبئة الجماعية: ويتعلق الأمر بطرق المطالبة.

– المشاركة السياسية المؤسسة: المسؤولة عن النظام وتنظيم الانتخابات خاصة في النظام الديموقراطي.

– ممارسة السلطة السياسية: كل مجتمع مسير من طرف مجموعة حاكمة، تقرر، إلا أنها تخضع هي كذلك لضغوط، ومشاكل معقدة.

من هنا نستنتج بأن العمل السياسي، عمل معقد لا يتحكم فيه ممثل واحد، بل عدة ممثلين، وهو نتيجة إجراءات ونشاطات إدا رية قصدية، كما أنه نتيجة علاقات القوة بين مختلف الممثلين. من جهة أخرى يشمل علم السياسة متحد الباحثين، يعملون على تحليل مختلف آليات مبادئ الهيمنة ، وعمليات الاحتفاظ بوضعيات السلطة السياسية، ووضعية ألائك الذين يتنافسون على التأسيس والمتابعة للقضايا والمسائل الاجتماعية.

– منهج علم السياسة:

إن التطور التدريجي لعلم السياسة في القرن 20، وكذا تطور كل من علم الاقتصاد، وعلم الاجتماع، لم يكن وليد الصدفة، بل كان استجابة للحاجة الاجتماعية من جهة، وتوفر البيئة الملائمة لهذا التطور من جهة أخرى.

تتصف المجتمعات المتطورة بعلاقاتها المعقدة بين الفاعلين والممثلين الاجتماعيين، كما أنها مبنية على أساس الأدوار والواجبات، وتنوع الروابط الاقتصادية منها أو السياسية، أو كما يطلق عليها نوربرت إلياسNorbert Elias : إطالة سلاسل الاستقلال L'allongement des chaines d'indépendance، من أجل توجيه وإدارة الأنظمة الأكثر تعقيدا وفاعلية، لكنها، في الوقت نفسه، تبدو ضعيفة ومعرضة للانهيار والتوقف عن العمل. هذه الظاهرة يمكن ملاحظتها في الميدان الاقتصادي والمالي، ولتفادي ذلك يتطلب الأمر معرفة صحيحة ودقيقة بمسائل المجال من أجل السير الحسن. هو الحال نفسه في **الميدان السياسي**، أين يتطلب الأمر، من أجل اتخاذ بعض اقرارات السياسية الملائمة، المعرفة بواقع المجال السياسي، خاصة إذا تعلق الأمر بالتدخل من أجل منع حدوث خلل، أو تقديم حلول لمسائل اجتماعية، أو من أجل ضبط قواعد للمنافسة على السلطة والحكم. لذلك يتطلب من علم السياسة أن يكون له موضوع، محدد، ومنهج بحث في دراسة ظواهره[91].

– أحدث المناهج في علم السياسة ومشاكلها:

لم يستقل علم السياسة عن الفلسفة السياسية، والقانون العام، إلا بعد ما حُدِدَت مفاهيمه، ومبادئه، ومناهجه، مع تأثره ببعض المشكلات مصدرها علم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، كما احتفظ بالعلاقة مع بعض العلوم كالتاريخ، والاقتصاد، وعلم النفس الاجتماعي.

وكنموذج من المساهمين في التنظير لعلم السياسة، بورديو من خلال كتابه Esquisse d'une théorie de la pratique 1972. وقد كان له تأثير على علم السياسة من خلال ثلاثة أوجه:

91 Yves Surel, La science politique et ses méthodes, Paris, Armand Colin, 2015, p 153.

– إدخال وسائل نظرية جديدة: مثل اللّغة، وخلق مفاهيم جديدة مكنت من توسيع دائرة البحث وجعل هذه المفاهيم شعبية وعامة، مثل مفهوم العادة L'habitus ببعض المعاني، رأس مال الثقافي، راس مال الرمزي، راس مال السياسي، مشكلة الهيمنة، وغيرها من المصطلحات.

– عملية نقل التساؤلات: يعمل بورديو من خلال مؤلفه على الابتعاد عن الموقف الذي يؤمن بأن الباحث يمكنه إنتاج علم (معرفة) محايد Un savoir neutre متحرر من كل حتمية.

– علم اجماع تبشيري: بحيث يعتقد أن مهمة علم الاجتماع هي إزالة الستار، أي دوره هو إيضاح الواقع. بعيدا عن الاعتبارات الشخصية والإيديولوجية.

ما دام علم السياسة هو من العلوم الاجتماعية، فإن المناهج المستعملة فيه، هي أساسا المستعملة في العلوم الاجتماعية و التي يحاول تطبيقها، وقد ظهرت سنة 1980 وهذه المناهج يمكن تلخيصها في الخطوات التالية:

1– تراكم المعلومات ووسائل العمل:

– الأرشيف Archives

– التحريات عن طريق الاستبيانات العامة والموحدة

– الملاحظات الميدانية

– التجريب

بالرغم من توفر هذه الوسائل، فإنه من الصعب تحقيق نتائج دقيقة، فمثلا، إذا كانت الملاحظات الميدانية والتجريب ممكن في بعض العلوم الاجتماعية، فإن تطبيقه في المجال السياسي تعترضه الكثير من العوائق، أبسطها، لا يمكن الباحث السياسي أن يتابع بسهولة مفاوضات دولية Négociations internationales نظرا لسريتها في أغلب الأحيان.

2– ضرورة النظرية:

إن غاية العلوم الاجتماعية هي التفسير، إلاّ أن هذه الغاية تكتنفها الكثير من المشاكل مثل: مفهوم السببية: والمستعمل في اللّغة العادية في بساطته، وهو مفهوم معقد في العلوم الاجتماعية، خاصة في علم السياسة، ذلك أن العالم السياسي وهو يحاول فهم العلاقة بين الأحداث السياسية، ومحاولة ربطها ببعضها البعض، فإنه لا يجد في ذلك المبرر المنطقي (السببي) لهذه العلاقة، أي التسلسل الكرونولوجي. فانفجار ثورة بعد فشل عسكري، لا يعني أن هذا الأخير هو سبب لها (لهذه الثورة). ينجم عن هذا صعوبة بناء نظرية سياسية Une théorie politique، مع أن للنظرية أهمية قصوى في مجال العلوم عامة، وفي علم السياسة على الخصوص.

مثال آخر: مفهوم الشبكة Le réseau يعين على بيان أهمية العلاقات غير الرسمية Informelles الموجودة بين المسؤولين السياسيين، والموظفين السامين، والأخصائيين، والشركاء الاقتصاديين، كما أنه يعين على بيان الاختلافات القانونية والمؤسساتية التي تعارض الدولة للخواص.

3- مشكلة التحليل (التحليل الكمي والنوعي):

لم تتطور العلوم التجريبية إلاّ بإدخالها عنصر القياس والتكميم (تكميم الظواهر)، وقد كانت إرادة علم السياسة في التخلص من الخطاب التخميني (التأملي) سببا في ادخال عنصر التكميم والترييض Mathématisation خاصة في أمريكا سنة 1950 للتعبير عن العلاقات بين مختلف المتغيرات، مثلا: بين الموقف السياسي وعلاقته مع الجنس، السن، مستوى الدخل، ملكية الأصول، العمل الاحترافي، وغيرها من المتغيرات المرتبطة فيما بينها. أما في العلاقات السياسية الخارجية الناتجة عن تحليل الكثير من المتغيرات التي تشكلها، فإن لمبدأ الصدفة والاحتمال مكانة خاصة مهما كانت الحسابات. لذلك فإن عملية التكميم والحساب في مجال السياسة محدودة، مثال ذلك تأثير البعد النفسي والانفعالي في الانتخابات. إن محاولة قياس بعض الظواهر السياسية قد يبعد علم السياسة عن بلوغه درجة الدقة والصحة في أحكامة.

4- مشكلة حرية التعبير والبحث العلمي:

في مجال السياسة غالبا ما يكون البحث العلمي وحرية التعبير خاضعان لشروط ولحدود:

- المشكل السياسي: أول نوع من أنواع المهددة لحرية التعبير العلمي، ويمكن أن يكون سببه دولة قمعية، État répressif فتتحول البحوث العلمية، وكل النشاطات الأخرى كالصحافة إلى مدافع عن الموقف السياسي الرسمي. ممكن ملاحظة ذلك في المجتمع السوفياتي سابقا، أو في مجتمع كوريا الشمالية حاليا، وفي كثير من الدول العربية ذات النظام الملكي، خاصة حين يتعلق الأمر بالقضايا السياسية الحساسة كالتدخل في شؤون الدول الضعيفة.

- المشكل الإعلامي: ويقصد به الإكراه المهني الإعلامي، هناك دائما سوء تفاهم بين العلوم الاجتماعية ووسائل الإعلام خاصة على الصعيد السياسي، وهنا بالضبط يمكن الإشارة إلى التمييز بين موقف الصحفي الإعلامي، والتحليل العلمي الذي يتطلب الحذر اللّغوي وطرق مناقشة الأصول.

لا يمكن أن يكون الخطاب العلمي مجرد تأمل، ولا هو مجرد ملاحظات بسيطة لما هو حاصل، إنه يتصف بالعلاقة وبالرابطة القوية بين النظري والتجريبي، وتحت تأثير العلوم التجريبية (الوضعية)، عملت العلوم الاجتماعية على محاولة إدخال عنصر التحليل الكمي Analyse quantitative لظواهرها. إلا أن خصوصية البحث في مجال العلوم السياسية يبرر بشكل واضح مكانة التحليل النوعي Analyse qualitative خاصة حين يوظف في اكتشاف سبل وطرق جديدة.

وما دامت المتغيرات كثيرة، فإن الباحث في مجال السياسة يجد نفسه على الدوام متأخرن وإذا ما تمكن من مسايرة الحدث السياسي فإنه لا يتمكن من معاينة كل جوانبه مما يجعل من عملية التنبؤ مثلا على اساس ربط الأحداث ببعضها البعض، أمر في غاية الصعوبة، وطبعا هذا ينقص من درجة العلمية التي تتمتع بها العلوم الطبيعية.

مراجع المحاضرة:

1 أرسطوطاليس، السياسة، ترجمة: أحمد لطفي السيد، الكتاب الرابع(النظرية العامة للجمهورية الفاضلة)، ط1، منشورات الجمل، بيروت، 2009.

2 كرونوس Kronos أي المكلّل أو المتوّج.

3 Platon, Le politique, ou De la royauté, livre pdf, Trad : Émile Chambry, Édition de référence : Garnier –Flammarion,

4 بحيث يعتقد أن النخبة التي لا تستطيع أن تخوض حربا، لا بد أن تترك مكانها لنخبة أخرى أقوى منها، وقد ترتب عن ذلك اتهما مه بالفاشية وتشجيع استعمال القوة والعنف من أجل النظام.

- Raymond Aron, Introduction à la philosophie politique (Démocratie et révolution), Coll, livre de poche, Paris, Éditions de Fallois, 1997.

5 Philippe Braud, La science politique, 11ème édition, coll Que s'ais je ? Paris, puf, p 9.

6 Max weber, Le savant et le politique, 1959, coll : LES CLASSIQUES DES SCIENCES SOCIALES, Paris, Union Generale d'Editions, 1963, p 87.

71 Dominique Chagnolland De Sabouret, Introduction à la science politique, 8ème Edition, Paris, Dalloz, 2018, p 8.

8 Bureaucratie. Le moyen le plus rationnel que l'on connaisse pour exercer un contrôle impératif sur des êtres humains.

- Max Weber, Économie et société : L'organisation et les puissances de la société dans leur rapport avec l'économie, Paris, PLON, 1971.

9 Yves Surel, La science politique et ses méthodes, Paris, Armand Colin, 2015, p 153.

11-المحاضرة الحادية عشر

مشكلات ابستمولوجية في علم اللّغة واللسانيات

علم اللّغة أو اللسانيات أو اللّغويات، كلها دراسة لموضوع واحد وهو اللّغة.

اكتمل علم اللّغة الحديث بشكل واضح، في بداية القرن 20 بعد تفكير وبحث مطول حول البُنيَة الداخلية للّغات، والعمل على توسيع مجال هذا العلم، وذلك من خلال الاهتمام بالخصائص المختلفة للّغة. يعتبر العلِم اللّغوي السويسري فرديناند دي سوسير Ferdinand De Saussure (1857-1913) بمثابة المؤسس لعلم اللّغة، وصاحب النظرية البنيوية الحديثة في اللسانيات، إلا أن التفكير حول اللغة أقدم من ذلك بكثير[92].

من المفاهيم القريبة من اللسانيات، فقه اللّغة أو الفيلولوجيا La philologie من اللاتينية Philologia أي محبة الكلمات ، والرسائل والأدب. إهتم الإغريق باللّغة لاستعمالاتها في الأدب و الخطاب والشعر، وهذا ما نلاحظه في مجازات أرسطو.

أما في القرون الوسطى، فإن قواعد لغة التفكير تَعْتَبِرْ اللّغة بمثابة مرآة للجواهر الأزلية. بينما في القرن 18، فإن قواعد اللّغة لمدرسة بورت رويال[93] Port Royal من خلال مؤلفات: ارنولد أنطوان Arnauld Antoine (1612-1694) وكلود لانسلو Claud Lancelot (1615-1695) اللاهوتيان الفرنسيان، Grammaire générale et raisonnée قواعد اللّغة العامة والمنطقية 1660 واللذان يبحثان فيه عن الأسس المنطقية للّغة، وذلك بتحليل المعاني. كما أنهما يعتقدان، باعتبارهما متدينان، أن الإله يظهر من وراء اللّغة. أما في القرن 19، انفصل علم اللّغة عن الفكر اللاهوتي، وتبنى مفهوما حيويا مثلما اقترح ذلك الفيلسوف واللّغوي الألماني وليام هامبولت Wilhelm Von Humboldt (1767-1935). ومعنى ذلك أن كل لغة هي بمثابة عضوية حية، تحمة قدراتها الخاصة على التحول والتغيّر. وينظر إلى هذه الفكرة على أنها من تأثير العلوم الطبيعية، وأعمال داروين، وكارل فون لينيه Linné. ومنها أخذ علماء اللّغة نموذج تطبيق اللّغات في شكل شجرة جنيالوجية، لذلك عرف القرن 19، إعادة رسم تاريخ اللّغات وتصنيفها إلى عائلات.

---

92 Cours de linguistique générale 1915

93 مقر الحكومة البريطانية في جمايكا

–الثورة السوسرية: نسبة لدي سوسير

في سنة 1916 أحدث كتاب دروس فسعلم اللّغة العام ثورة في مجال علم اللّغة واللسانيات، بالرغم من أنه لم يكتب من طرف صاحبه. يقدم هذا الكتاب، اللّغة كنظام مؤطر (بناء منظم)، يعمل على توضيح الفروقات المزدوجة للتفرعات الثنائية المشهورة:

– التزامن/عدم التزامن Synchronie/Diachronie

– الدال/المدلول Signifiant/Signifié

– اللّغة/ الكلام Langue/parole

امتد تأثير نظرية دي سوسير إلى تيارات ومدارس متعددة، مثل مدرسة براغ Prague، كوبنهاغن Copenhague، وكذا علم النفس الوظيفي.

– التيارات الكبرى:

– مدرسة براغ

– مدرسة كوبنهاغن

– علم النفس الوظيفي

– علم اللّغة التوليدي

– علم اللّغة المعرفي

– التيار النفسي البياني

– علم اللّغة واللّسانيات:

من الصعب التمييز بين علم اللّغة واللّسانيات، يبقى أن هذه الأخيرة (**اللّسانيات**): ترتبط بدراسة اللّغة، إلا أن بعض التيارات أَدْخَلَتْ شيئا فشيء بعض المواضيع الخارجة عن مجال اللّغة، مثل: الحركات، تعابير الوجه، المظهر (طريقة اللباس)، وغيرها). كما ظهرت بعض التيارات الجديدة منها: البراغماتية، السيميائية (واليوم مثل سيميائية الصورة)، وكل هذه تحولت إلى مواضيع يمكن البحث فيها، واعداد أطروحات جامعية.

من فروع اللسانيات:

1– اللسانيات الوصفية وتضم:

– أنثروبولوجيا اللغة – فلسفة اللغة – علم الاجتماع اللغوي – تاريخ اللّغات –اللسانيات المقارنة.

2– اللسانيات التطبيقية وتضم الفروع التالية:

– تعليمية اللّغة – علم النفس اللغوي – اللسانيات العصبية.

3- اللسانيات النظرية:

- الصوتيات (علم الصوات الكلامية) – النطقيات – المورفولوجيا – علم المعاجم – علم النحو والإعراب – علم المعنى أو علم الدلالة – علم العلامات.

أما علم اللّغة: فهو أوسع، ويضم مقاربات أخرى، مثل التفكير في اللّغة من أصل نفساني، أو سيبرنائي، أو العلوم العصبية، حول مسائل الذكاء الاصطناعي، والترجمة الأوتوماتيكية، أو التعرف على الصوت وغيرها.

من كل هذا يمكن استنتاج، أن مجال هذا العلم (علم اللّغة)، يبقى مقترنا بالعلوم الإنسانية التي لازالت تعاني من نقائص تحول دون بلوغ الدرجة العلمية المطلوبة من دقة وموضوعية، ويمكن توضيح ذلك من خلال مبحث فلسفة اللّغة.

– فلسفة اللّغة[94]:

هي مجموعة ملاحظات الفلاسفة حول اللّغة، وهي عبارة عن تحليلات تقنية مكوّنة ابتداء من صور منطقية . وهي كذلك تقييم لدور اللّغة العادية. وهي كذلك عبارة عن تمثلات مُشكّلة من معارف وضعية تتخذ اللّغة كموضوع.

ما نلاحظه، هو أن فلسفة اللّغة، هي مجموعة من الأفكار ذات أصول متنوعة، وهذا ما يجعل منها المجال الأصعب والأهم في الفلسفة. باختصار، إن المسألة الأساسية في فلسفة اللّغة، تتعلق أكثر بما يجعل منها خاصية إنسانية، وطبيعتها العقلية.

لا شك أن كل حقل من حقول تجاربنا، يُعد موضوعا في البنايات النظرية (في بناء النظريات)، أو ما ينكن أن نطلق عليه اسم "علوم"، وهذا ما ينجم عنه إشكالات فلسفية معقدة مثل:

- مشكلة النهايات بالنسبة للرياضيات.
- البناء المطلق في المادة بالنسبة للعلوم الطبيعية (الفيزياء).
- طبيعة الحياة بالنسبة للبيولوجيا.
- الحرية بالنسبة للقانون والأخلاق.

بالنسبة للّغة، هناك نوعية (صورتين) من المشكلات:

الأولى: تتعلق بطبيعة المعنى، والسؤال فيها: أي نوع من الطبيعة لمعنى الكلمة أو الجملة (العبارة)؟، ما هو أصل كون اللّغة تدل (أي لها دلالة)؟.

الثانية: تتعلق بالكونية (العالمية) بمعنى، حين أتكلم، كيف يمكن أن يفهمني الآخر، والأكثر من هذا تترجم لغتي إلى لغة أخرى غيرها؟ من الواضح أن هذه الأسئلة كلها تتعلق بالبحث في طبيعة الفكر.

من هنا، يمكن القول، إذا دققنا النظر في المسألة يمكن القول:

---

94 Sylvain Auroux, La philosophie du langage, Paris, puf, 1998.

- أن اللانهائي هو المفتاح الميتافيزيقي للرياضيات.

- وأن الكونية والعالمية، هي مفتاح علوم اللّغة.

فإذا كانت فلسفة العدد تقتضي العلم بموضوع الحساب، وأن فلسفة الطبيعة، تم تعويضها بفلسفة الفيزياء، فهذا لا يصدق على اللّغة، بحيث لا يمكن اختزال فلسفة اللّغة إلى فلسفة علوم اللّغة، وهذا راجع إلى كون الكثير من الفلاسفة ليس لديهم دراية بالمسألة، وهذا للأسباب التالية:

1- كل واحد فينا يجد نفسه غارقا في لغته، مثلما هو غارق ومنسجم مع وسطه الطبيعي الذي يتحكم بوجوده وبإنسانياته في هذا العالم، وطبعا، ما ينجم عنه تمثيلا تلقائيا لطبيعة اللّغة في الغالب تميل إلى المعارف الأولى (الابتدائية)، التي يكتسبها الجميع من المدرسة، ثم من السفسطائيين، مرورا بمعارضة أرسطو لهم. كما أن اللغة العادية واليومية في المعرفة والتواصل، تبيّن أنها محفوفة بخطر مسألة المبهم السيميائي.

إن هذه الانتقادات أثيرت حديثا بوضوح بعد تطور المصطلحات العلمية، وظهور فكرة إعادة تشكيل لغتنا العادية اليومية، المبهمة وغير الدقيقة، وتكييفها مع العلوم، وهذا ما اشار إليه كل من دافيد هيوم وجون لوك.

2- محاولة الإجابة عن أصل اللّغة: هل هي معطى طبيعي، أم أنها نتيجة تواطؤ، أم أنها من الله، تعدد وتنوع الاجابات.

3- مشكلة العلاقة بين الدال والمدلول، والعلاقة بين الفكر واللّغة، أيهنا يصنع الآخر، وغيرها من المسائل التي تجعل من اللسانيات لا ترتقي إلى درجة العلمية.

مراجع المحاضرة:

1 Cours de linguistique générale 1915

2 مقر الحكومة البريطانية في جمايكا

3 Sylvain Auroux, La philosophie du langage, Paris, puf, 1998.

- **المسائل الكبرى في العلوم الإنسانية والاجتماعية اليوم:**
- **العولمة**
- **وضعية المرأة**
- **التعليم العالي**
- **الدراسات الما بعد الكولونيالية**

المحور الثالث: المشكلات الابستيمولوجية للعلوم الصورية:

12- المحاضرة الثانية عشر

الرياضيات والمنطق الصوري

يقصد بالعلوم الصورية أو العقلية تلك العلوم ذات الطبيعة المنطقية، أي معيار الصدق فيها منطقي، معنى تكتسب صدقها من مدى تطابق العقل مع نفسه. ومن هذه العلوم نجد: الرياضيات، و المنطق، ولكل منهما مشكلاته المعرفية والمنهجية يمكن تتبعها تاريخيا كما يلي:

ا) مشكلة الأسس في الرياضيات:

إن الرياضيات منذ أن قامت كعلم نظري علي يد اليونان إلى غاية القرن التاسع عشر، اعتبرت نموذجا مثاليا للتفكير العقلاني كما أنها كانت نموذجا حيا لتفسير المذهب الأفلاطوني وأساسا لبناء الحقائق اليقينية، ولهذا فإن أفلاطون جعلها إحدى الركائز المهمة من أجل الوصول إلى عالم الأفكار من خلال نظريات جدله الصاعد. جعل أفلاطون الرياضيات علم نظري خالص يساعد الفرد على بلوغ الحقيقة واليقين، ولهذا فإن الرياضيات مع أفلاطون كانت مفارقة للواقع باعتبار أن هذا الأخير يمثل عالم الشك والظن.

- الهندسة الإقليدية:

ظلت الهندسة الإقليدية القاعدة الثابتة للعقلانية الفلسفية، إلى العصر الحديث عند كانط[95]. وقد ارتبطت هذه الهندسة بإقليدس Euclid 300 ق م، وقد ظهرت معه الرياضيات في أكثر صورها تماسكا. و جعلت من البرهان الرياضي أداة لتفسير العالم و تقديم حقائق يقينية مستنتجة بطرق تحليلية برهانيه. إن الرياضيات الأقليدية كانت عبارة هندسية أكثر منها جبرية ولهذا فإنها بنت نتائجها على أسس ومبادئ تظهر واضحة وجلية للعقل، قريبة من الواقع وكما أن نتائجها المستنبطة، كانت تبدو في غاية البساطة والوضوح.

لإقليدس كتاب مشهور سماه الأصول أو العناصر Les éléments وهي مجموعة رسائل كتبها سنة 300 ق م بالإسكندرية وتضم هذه الرسائل مجموعة من المبادئ وهي ثلاثة البديهيات والتعريفات والبراهين (المصادرات).

1- البديهيات Les axiomes: وهي عبارة عن قضايا واضحة يذاتها، لا تحتاج إلى البرهنة على صحتها، بل البرهان يقوم عليها. مثال ذلك المساويان لثالث متساويان.

2- التعريفات Les définitions: من خلالها يوضح الرياضي بعض المعاني الرياضية واستعمالها في البرهان الرياضي، وقد استنبط إقليدس حوالي 465 قضية شكلت أساسا في بنائه لنسق استنباطي Système déductif وهو أول إطار منطقي لهندسته.

---

95 غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، تر: عادل العوا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983،

3- المصادرات Les postulas: وهي أقل وضوحا من البديهيات، وهي عبارة عن قضايا يطلب منا الرياضي التسلسم بها لكي ينقلنا إلى نتائج نسلم بها كذلك[96].

اعتبرت البديهيات الأوقليدية دوما مقبولة، كما أن التعاريف ضرورية لأنه لا يمكن التقدم في البحث دون الانطلاق من حدود لا معرفة. أما المسلمات أو ما يمكن أن نطلق عليه المصادرات، فقد كانت السبب أثارت الكثير من التردد والشك تلك المعروفة بمسلمة التوازي، والتي تصاغ عادة كالتالي: من نقطة خارج مستقيم لا يمكن رسم إلا خطا واحدا فقط مواز للأول.

وقد حاول الرياضيون عبر العصور من يونان و عرب وغربيون البرهنة عليها، والرجوع بها إلى قضايا أبسط منها، و لكنهم جميعا لم يفلحوا في ذلك، كما أنهم لم يستطيعوا الاستغناء عنها لأن في الاستغناء انهيار للهندسة الإقليدية كلها، لأنها تشكل (مسلمة التوازي) العمود الفقري لهندسة إقليدس ومنها تستخلص جميع الخاصيات الهندسية فيما يخص قياس زوايا المثلثات، وطبيعة الأشكال الهندسية.

وقد خطت الهندسة الإقليدية خطوات كبيرة خصوصا مع الرياضي الفرنسي الكبير ديكارت Descartes الذي أدمج بين الهندسة مع الجبر ليصنع منهما الهندسة التحليلية أو التحليل وذلك عن طريق جعل الأشكال الهندسية عبارة عن معادلات جبرية[97].

ولعل الميزة الأساسية التي قدمها ديكارت للهندسة هو أنه أعطاها تصورا جديدا و فتح لها مجالا واسعا للانتشار ولتفسير العالم بصورة أكثر وضوحا واتساقا عن طريق قوانينها المتسمة بالصدق واليقين "الرياضيات علم البداهة واليقين" الرياضيات مع ديكارت ستأخذ مسارا جديدا ستقطع مع الطابع التأملي الذي سيطر على الفكر منذ العهد اليوناني لتبدأ في الارتباط بالواقع أكثر من السابق.

ولما أقبل العالم الرياضي الروسي لوباتشفسكي Nikolaï Ivanovitch Lobatchevski محاولا الانتصار لهندسة إقليدس وذلك من خلال المبرهنة على المسلمة الخامسة، استعان بالبرهان بالخلف و ذلك عن طريق إثبات صحة القضية وذلك بإثبات خطئ نقيضها، وهذا بفضل لعبة جدلية Un jeu didatique مثلما يعّبر عنها فراسوا غيري[98]. لكن النتائج كانت معكوسة. وفي سنة 1837 قام بنشر مقالة بعنوان "الهندسة الخيالية أو التصويرية بفرنسا La géométrie imaginaire فلوباتشفسكي كان يعرف مسبقا أنه في طور إنجاز حقائق لا يقبلها العقل السوي وليس لوباتشفسكي وحده هو الذي سطر لعالم لا إقليدي بل هناك عالم آخر سطع اسمه عاليا اسمه ريمان،

---

96 Leon Brunschvicg, Les étapes de la philosophie mathématique, Paris, Librairie Felix Algan, 1912, pp 84-93 .

97 R.Descartes, Règles pour la direction de l'esprit4, Paris, Galimard, 1953, pp 48-51.

98 أندري كوزان، فرانسوا غيري وآخرون، مداخل الفلسفة المعاصرة، تر: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، لبنان، 1988، ص 70.

إن طبيعة الانتقال من الهندسة الأوقليدية إلى الهندسات اللا إقليدية، أو الانتقال من "الكائن إلى البنية" على حد تعبير جماعة بورباكي Nicolas Bourbaki (وهو اسم خيالي أطلقته جماعة على نفسها). هو انتقال مبني على فروض أكسيوماتيكية، فالانتقال تم من العالم المطلق إلى العالم النسبي، من عالم واحد تسيطر عليه الحتمية إلى عوالم ممكنة تتسم بالاحتمالية، من عالم توجد فيه الحقيقة المطلقة داخل مجال اليقين المطلق إلى مجال تسيطر فيه الموضوعية المطلقة داخل مجال الشك المطلق، وبالتالي فلم نعد نتحدث عن حقيقة رياضية موضوعية مطلقة، و إنما أصبحنا نتحدث حسب بوانكاريه عن الحقيقة الملائمة فقط[99].

و في هذا الطرح يقول بوانكاريه Jules Henri Poincaré (1854-1912) :"إن البحث عن أي الهندسات صحيحة سؤال لا معنى له[100]".

حدث في تاريخ الرياضيات ما يعرف "بأزمة الأسس"، خصوصا للجدال الكبير الذي أثاره العالم الرياضي جورج كانتور Georg Ferdinand Ludwig Philip Cantor(1845-1918) و راسل حول مجموعة من القضايا التي كانت تعبر من البديهيات العقلية والتي أصبحت مجالا للشك حول صدقها ويقينها. فالمنطق المعاصر اتخذ له مسارا موازيا للرياضيات إن لم نقل مسارا منطبقا لها، لنقل مع راسل إننا لم نعد نعرف أين تبدأ الرياضيات وأين ينتهي المنطق، الرياضيات الإقليدية طبعا هي التي كانت مستهدفة بحكم أنها هي الوحيدة التي كانت موجودة في الساحة العلمية، ووجودها كان متصفا بالإطلاقية لكن التغييرات الواقعية التي كانت تحدث والملاحظات العلمية، ستجعل العلماء والفلاسفة على السواء يعيدون مراجعة صدق نتائج الأسلاف.

إن أزمت الأسس التي أحدثت في الجبر عن طريق المناطقة ستدعم بأزمة أسس أخرى على المستوى الهندسي، ولهذا فإن الرياضيات ستتعرض لنقد وفحص داخلي، و في هذا الصدد يقول الجابري "إنها حركة نقد داخلي أدت إلى إعادة صياغة المنهج الرياضي صياغة منطقية واعية من جهة، و إلى طرح مشكلة الأسس، بعد قيام نظريات المجموعات، طرحا حادا من جهة أخرى، فقامت زوبعة من المناقشات الصاخبة في أوساط الرياضيين، خاصة في أوائل هذا القرن (القرن العشرين)، الشيء الذي يعرف في الأدبيات الرياضية ب"أزمة الأسس" وحركة النقد هذه، هي حركة نقد العلم لنفسه، هي مساءلة العلم للعلم نفسه[101].

---

99 Nicola Bourbaki, Éléments d'histoire des mathématique, Paris, Hermane, 1960, pp 29-32.
100 Henri Poincaré, La science et l'hypothèse, Paris, Flammarion, 1968, pp 74-76.
101 محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 2002.

من هنا يمكن الحديث عن أهم النزعات الفلسفية التي تدخل ضمن النقاش الإبستيمولوجي حول مشكلة أصل المبادئ الرياضية ونذكر منها:

1- الواقعية الرياضية: تعتبر المبادئ الرياضية كائنات مستقلة الوجود عن العقل الإنساني، لذلك فإن من مهام الإنسان هو الكشف عنها وليس اختراعها. يمثل هذا الاتجاه المدرسة الأفلاطونية قديما، وحديثا يمثله بعض الفلاسفة يمكن أن نذكر منهم: روجر بنروز Roger Penrose(1931-)، كورت غودل Kurt Gödel (1906-1978).

2- الصورنية أو الشكلية Formalisme يمثلها كل من الرياضي الألماني دافيد هلبير David Hilbert (1862-1943) وهنري بواكري. تقوم هذه المدرسة على الاعتقاد بأن ممكن التفكير بالعبارات الرياضية على أنها نتائج لقواعد معالجة المقولات الأولية. فمثلا الهندسة الإقليدية تستند إلى مقولات تسمى البديهيات Axiomes صحيحة، أولية. لكن هذه المدرسة تعتقد أن الرياضيات هي بمثابة بناء خالص للفكر، ودورها هو استنتاج النظريات الرياضية ابتداء من البديهيات صحيحة كانت أم خاطئة، ومعيار الصدق فيها منطقي، أي عدم التناقض.

3- المنطقية Le logicisme نظرية قائمة على الاعتقاد بأن الرياضيات هي امتداد للمنطق، فالقوانين المنطقية هي قوانين الصحة. يمثل هذا الاتجاه: برتراند رسل، البريطاني واتهايد Alfred North whitehead (1861-1947)، الألماني غوتلوب فريجة Gottlob Frege (1848-1925). يتفقون على أن المنطق هو أساس الرياضيات.

4- البنائية الرياضية والحدسية Le constructivisme mathématique يعتقد هذا الاتجاه أنه من الضروري الكشف أو بناء موضوع أو معنى رياضي حتى نثبت وجوده. من الممثلين لهذا الاتجاه الإرلندي جان براور Jan Brower (1881-1966، الأسس الحدسية للرياضيات.

ب) مشكلة المنطق الصوري:

يعتبر المنطق من العلوم الصورية، وهو يتعلق بما جاء به أرسطو Aristote وقد عرف عند بالعلم التحليلي أو الأنالوتيكا، ويعرفه على أنه "آلة العلم وموضوعه هو العلم نفسه"، وقد وضع قواعده وقوانينه في كتاب سماه الأرغنون Organon[102]. وقد ظل المنطق هو الأداة الوحيدة في إنتاج المعرفة طيلة ألفي سنة، حتى عصر النهضة.

تعرض النطق الصوري غلى عدة انتقادات كانت بداية للأزمة التي تعرض لها من هذه الانتقادات:

- كونه صوري ومعيار الصدق فيه هو تطابق العقل مع نفسه لا غير، وهذا يبعده عن الواقع.

102 Leon Brunschvicg, Les étapes de la philosophie mathématique, Paris, Librairie Felix Algan, 1912, pp 72-77 .

– كونه عقيم غير منتج، لأن النتيجة كامنة في المقدمات، فقولي أم كل إنسان فان، وأن عمر إنسان، إذن فهو فان، هذه النتيجة ليس جديدة، لأن المقدمة تتضمنها، ذلك لأن قولي كل إنسان فان أقصد بما في ذلك عمر[103].

أي حتى المنهج البديل وهو المنهج الاستقرائي على يد فرانسيس بيكون، في الكتاب الذي وضعه وكان يمثل نقدا للأرغنون.

وقد أطلق عليه اسم الأرغنون الجديد Nouvel organon سنة 1620 ، والذي يرى فيه أن العقل النظري وحده ليس كفيلا للوصول إلى الحقيقة و العلم. ورأى أن الداء كله يكمن في الطرق التقليدية للاستنتاج، التي لا يمكن أن تأتي بالجديد، وهنا يشير إلى المنطق الصوري.

أراد بيكون استبدال منهج البرهان القياسي بمنهج الكشف الاستقرائي، ويرى بيكون أنه إذا أردنا الوصول إلى الهدف المنشود فلا بد من مراعاة شرطين أساسيين وهما:

– **شرط ذاتي** يتمثل في تطهير العقل من كل الأحكام السابقة والأوهام والأخطاء التي انحدرت إليه من الأجيال.

– **شرط موضوعي** ويتمثل في رد العلوم إلى الخبرة والتجربة.

يعتقد بيكون، أن على العالم احترام الواقع الحسي، إلى جانب الذهن في تخطيطه لاكتشاف أسرار الطبيعة، وهذه أسس النظرية المنطقية الجديدة، في دعوة منه إلى إصلاح المنطق الصوري، يقول في هذا الصدد.

« Les empiriques, semblables aux fourmis, ne savent qu'amasser et user ; les rationalistes, semblables aux araignées, font des toiles qu'ils tirent d'eux-mêmes ; le procédé de l'abeille tient le milieu entre ces deux : elle recueille ses matériaux sur les fleurs des jardins et des champs ; mais elle les transforme et les distille par une vertu qui lui est propre : c'est l'image du véritable travail de la philosophie, qui ne se fie pas aux seules forces de l'esprit humain et n'y prend même pas son principal appui. [...] C'est pourquoi il y a tout à espérer d'une alliance intime et sacrée de ces deux facultés expérimentale et rationnelle ; alliance qui ne s'est pas encore rencontrée »[104].

103 Leon Brunschvicg, Les étapes de la philosophie mathématique . pp78-83.
104 Francis Bacon,Novum Organum, Nouvelle traduction de Lorquet, Hachette, 1857, p.51

مراجع المحاضرة:

1 غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، تر: عادل العوا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983،

2 Leon Brunschvicg, Les étapes de la philosophie mathématique, Paris, Librairie Felix Algan, 1912, pp 84-93 .

3 R.Descartes, Règles pour la direction de l'esprit4, Paris, Galimard, 1953, pp 48-51.

4 أندري كوزان، فرانسوا غيري وآخرون، مداخل الفلسفة المعاصرة، تر: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، لبنان، 1988، ص 70.

5Nicola Bourbaki, Éléments d'histoire des mathématique, Paris, Hermane, 1960, pp 29-32.

6 Henri Poincaré, La science et l'hypothèse, Paris, Flammarion, 1968, pp 74-76.

7محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 2002.

8 Leon Brunschvicg, Les étapes de la philosophie mathématique, Paris, Librairie Felix Algan, 1912, pp 72-77 .

9 Leon Brunschvicg, Les étapes de la philosophie mathématique . pp78-83.

10 Francis Bacon,Novum Organum, Nouvelle traduction de Lorquet, Hachette, 1857, p.51

المحور الرابع: المشكلات ابستمولوجية للعلوم الطبيعية

13- المحاضرة الثالثة عشر

مشكلة الاستقراء:

إن الابستمولوجيا ليست مبحثا واحدا موحدا لا يقبل القسمة : إذ يمكننا أن نقول إنها مبحث يستعمل مناهج هي في غالب الأحيان علمية لكنها ذات مشارب وأصول مختلفة مما يجعل منها عبارة عن مجموعة من المباحث، ومنه فلا توجد ابستمولوجيا عامة كمبحث موحد، فهي تتموضع عند تقاطع اهتمامات ومباحث جد متنوعة بأهدافها ومناهجها وكل مساهمات الفلاسفة منذ الأزل، كما نجدها مرتبطة في الغالب بمفاهيم دوغمائية، إن لم تكن إمبريالية. غير أن المسائل الموضوعة بهذا الشكل لا زالت توجه عددا كبيرا من الأبحاث. لذلك حاول العلماء والفلاسفة القيام بتجديد للمنهج العلمي بأكثر ما يكون من الدقة. لنذكر من بين المئات منهم، وويل، كلود بيرنار، بوانكاريه، دوهيم، إينشتاين، كارناب، بوبر، وغيرهم. محاولين الإجابة عن الأسئلة مثل: ما هي البنية المنطقية لنظرية ما؟ وكيف يمكن التحقق منها عن طريق الوقائع؟ ما هو الاستقراء؟ إن هذه الدراسات هي دراسات قيمية بشكل واضح ؛ فهي تلح في الغالب على المعايير التي يجب على العلوم احترامها، وتطرح مسألة قيمتها.

في مرحلة ما من مراحل التفكير اعلمي شكل المنهج الاستقرائي (المنهج التجريبي) المعيار الأساسي في تمييز العلم عن اللا علم، بل أساس كل معرفة علمية موضوعية، وهذا في رأي الوضعيين بطبيعة الحال. يعرف المنهج الاستقرائي أو التجريبي، على أنه عملية انتقال من ملاحظة الظواهر الجزئية إلى استنباط القوانين العامة التي تشمل كل الظواهر المشابهة، من هنا كانت المشكلة: أي التساؤل حول مدى مشروعية هذا المنهج، أي ما هو المبرر المنطقي الذي يمكنني من الانتقال من ملاحظة بعض الظواهر و تعميم الحكم الذي أجده فيها ، على كل الظواهر المشابهة غير المدروسة؟

ا) بالنسبة للوضعية المنطقية: يقوم هذا الاتجاه على رفض القضايا الميتافيزيقية، واللاهوت (الدين)، وكل معرفة لا تتوفر فيها الشروط العلمية (التجريب، الموضوعية، والوضعية أي الواقعية، والقابلية للتحقق)، لا يمكن قبولها على أنها معرفة علمية.

أما **معيار التحقق**، فهو من المعايير المهمة بالنسبة للمدرسة الوضعية. حتى تكون أي فكرة ذات معنى، لا بد وأن تعبر عن واقع حسي تجريبي. يقول هانز رايشنباخ:<<فالجملة التي لا يمكن تحديد صحتها من ملاحظات ممكنة هي جملة لا معنى لها>>[105]. بمعنى آخر، لا يكون للقضية معنى إلاّ بإمكانية تطبيقها تجريبيا، وبمعنى آخر، أن المعنى هو العلم، واللا علم هو اللا معنى. تجسد هذا المعيار أكثر مع ألفريد آير Ayer Alfred Jules (1910-1989)، في كتابه "اللّغة، الصدق والمنطق" حيث ميز بين نوعين من التحقق: تحقق علمي، وتحقق مبدئي. التحقق العلمي يغيب وجوده عند غياب الظروف المواتية له[106].

---

105 هانز رايشنباخ، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979، ص، 225.

106 Alfred Jules Ayer, Langage, vérité et logique, Tra : Joseph Ohana, Flammarion, 1956, p.p. 40-41.

كما أنه ميّز، من جهة أخرى، بين نوعين من التحق: تحقق قوي، وتحقق ضعيف، هذا الأخير الذي حاول آير الدفاع عنه، ذلك أن لا يكفي لكي تكون العبارة ذات معنى، أن تكون في إمكان التجربة إثبات احتمالاتها[107].

إن هذا الموقف يشبه ما ذهب إليه كارل بوبر Karl Popper (1902-1994)، حين أعتقد بتعذر تحقيق اليقين التام للقضية في الخبرة التجريبية، ذلك أن كل ما يمكن أن تؤديه الخبرة هي الاقتراب أكثر من الصدق. لذلك يؤكد بوبر على فكرة (مبدأ) القابلية للتكذيب Principe de réfutabilité، أي العبارة غير القابلة للتكذيب هي عبارة غير علمية، لكنها أقرب إلى الصدق من غيرها. من بين الذين حاولوا الإجابة عن قيمة المنهج العلمي:

– كارل بوبر Karl Raimund Popper :

من خلال كتابه منطق الكشف العلمي La logique de la découverte scientifique 1934 . يعتبر بوبر صاحب معيار القابلية للتكذيب، وهذه الفكرة تشكل مركز فلسفته. متى يمكن أن نصنف نظرية على أنها علمية؟، هو سؤال طرحه وكان المراد منه هو التمييز بين العلم و اللا علم. انصب نقده على النزعة الوضعية التي كانت تثق بالعلم ثقة عمياء، وتنبذ الميتافيزيقا، وعلى العكس من ذلك ذهب بوبر إلى الاعتقاد بأن الميتافيزيقا كثيرا ما ساعدت على تقدم العلم. هناك آثار النظريات القديمة (انكسمندر، هوزيود) في بحوث العلماء الجدد أمثال نيوتن.

لم يكتفي بوبر بانتقاد موقف الوضعية من الميتافيزيقا فحسب، بل راح ينتقد مبدأهم وهو القابلية للتصديق أو للتأكيد. يضع العالم سواء أكان نظريا أم تجريبيا فروضا أو أنساقا من النظريات ثم يختبرها تدريجيا في مجال العلوم التجريبية. بهذا يميز بوبر بين النظريات العلمية ليس من جهة اختبارها ولكن من جهة قابليتها للاختبار[108].

ولا تكون النظرية علمية إلا إذا توفرت فيها شروط:

– شرط عدم التناقض.

– شرط الاستقلال: استقلال القوانين بعضها عن بعض، بمعنى لا يمكن البرهنة على بعض قوانين النظرية من خلال البرهنة على قوانين أخرى داخل النظرية.

– شرط الكفاية: البديهيات النظرية كافية لاشتقاق جميع القوانين أو القضايا المنتمية إليها.

– شرط الضرورة: بمعنى أن تكون كل البديهيات و القوانين ضرورية، أي لا وجود لقضايا يمكن الاستغناء عنها[109].

– الاتجاه التجريبي: يمثله الرياضي وفيلسوف العلم الأمريكي هانسون Norwood Hanson Russel (1924-1967).

لقد اهتم هذا الأخير بالنظريات العلمية بصورة عامة والفلكية منها بصورة خاصة، وجاءت تحليلاته بنتيجة مفادها أن النظريات العلمية التي يأتي بها العلماء، تحدد لنا ما هو مشاهد. فالعلماء في الأحقاب الزمنية المختلفة يشاهدون الشيء نفسه، بمعنى واحد لكلمة يشاهد، إلا أن هناك معنا آخرا بمقتضاه لا يرى العلماء الشيء نفسه، ولا تبدأ أبحاثهم من المعطيات نفسها. وهكذا فقد عالج هانسون في مؤلفه: أنماط الكشف Modèles de la découverte 1958 الملاحظة العلمية بطريقة مختلفة عن تلك المعالجة التي وضعتها الوضعية المنطقية.

---

107 Alfred Jules Ayer, Langage, vérité et logique, p.p. 14-15.

108 Anouk Barrerousse & Autre (Sous la direction), Précis de philosophie des sciences, pp 289- 290.

109 يمكن الرجوع إلى مؤلفات بوبر، خاصة منها منطق الكشف العلمي

فقد تصور أن الأجوبة المتعدد لفكرة الملاحظة العلمية، يمكن حلها عن طريق الأشكال الجشطالتية. بالإضافة إلى الرياضيات العلمية، وذلك التصور يضفي على التفسير الملاحظة العلمية بهذا جديدا. وعلى هذا الأساس يرى هانسون، أن الملاحظين لا يرون الشيء ذاته ويبدؤون من المعطيات عينها ولا ينتهون إلى النتائج نفسها.

– من الاستقراء إلى اللا منهج:

لقد حقق العلماء وبتوظيف الاستقراء كمنهج عقلاني (غارق في العقلانية) في التعامل مع ظواهر المادة، نجاحا كبيرا لا يمكن نكرانه، بحيث مكنهم من تصحيح كثير من الحقائق التي كانت سائدة منذ الأزل. إلا أن هذه الفاتحة (المنهج التجريبي أو الاستقراء) لم تبق محل ثقة عمياء مثلما كانت عليه، وإنما بدت غير قادرة على التعامل مع كثير مما يسعى العلماء إلى اكتشافه من حقائق حول الظواهر المادية وغير المادية، لذلك لقي هذا المنهج معارضة إلى درجة التفكير في الخروج عنه والقول باللاّمنهج أو اللاّعقلانية، أو التعددية المنهجية.

يطرح فيلسوف العلم النمساوي بول فيرابند Paul Feyerabend (1924-1994) في كتابه "ضد المنهج"[110] Contre la méthode 1975 أو كتابه "العلم في مجتمع حر" La science dans une société libre نظريته في التعددية المنهجية (تعدد المناهج)، والفوضوية ضد قداسة العلم (الإبستيمولوجيا الفوضوية)، محاولة منه تحرير العلم. يقول:" إن العلم ليس كتابا مغلقا لا يمكن فك طلاسمه، بل هو مظام عقلي يمكن أن ينتقده أي شخص معني بأمر العلم، وإن الصعوبة المزعومة للعلم ترجع إلى الحملة الأيديولوجية المنظمة التي يشنها العديد من العلماء لإدخال الرعب في نفوسنا من العلم".

بهذا المعنى يحاول فيرابند رفع القداسة عن العلم والحقائق العلمية، والقول بالحرية، واستقلال العقل، فإذا كانت الحقائق تتعارض مع الحرّية، فنحن إذن أمام اختيار، من الممكن أن نهجر الحرية في سبيل الحقائق، ومن الممكن كذلك أن نهجر الحقائق في سبيل الحرّية، على حد قوله[111]. أما المدافعين عن العلم وعن قداسته، فهم يستدلون على ذلك بحجتين: الأولى: المنهج (الإستقراء)، والثانية: النتائج (الدقة واليقين). لا شك أن هذين المبررين في نظر فيرابند يحطمان جهود العلماء الأقدمين، كما يعيق كل محاواة تجديد، وحرية البحث، ويلغي كل الحقائق المكتشفة في الميادين الأخرى.

يذهب فيرابند إلى أبعد من ذلك في نقده، بحيث ينتقد نقاد العلم (نقد النقد)، فقد انتقد كارل بوبر، في قوله بالمعرفة الموضوعية: واستقلالها عن الإنسان بالرغم من أنها من انتاجه، وهو أمر غير ممكن الحدوث في نظره، لأن هنالك مؤثرات كثيرة منها الأفكار السابقة التي تؤثر في خبرتنا. كما انتقده في قوله بفكرة القابلية للتكذيب. في نظر فيرابند تعتبر النظرية La théorie اعتقاد مسبق يحدد رؤيتنا للعالم، فهي تختلف من ملاحظ إلى آخر، لذلك هي لا ترتبط بالخبرة إرتباطا ضروريا، ومنه فلا يمكن اعتبار الخبرة الحسية مصدرا أساسيا للمعرفة العلمية، فهناك علم دون خبرة Science sans expérience على حد تعبيره. يواصل فيرابند نقده لفلاسفة العلم ومؤرخيه منهم **توماس كون** في فكرة النموذج الارشادي، كما انتقد **لاكاتوش** في فكرة برامج البحث، وغيرهم مما أنتقد العلم ومناهجه. يريد فيرابند من وراء ذلك ، وببساطة، نقد الحضارة الغربية التي تدعي امتلاكها للعقلانية العلمية، والكمال واليقين المعرفي وللحقيقة المطلقة.

---

110 بول فيرابند، العلم في مجتمع حر، ترجمة، سيد نفادي، الجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000.

111 P. Feyerabend, Science in a free society, London, NLB, 1978.

في آخر المطاف، يطالب فيرابند بالتعددية المنهجية، ويدعو إلى استعمال منهج مفتوح، ويشير إلى أن الواقعية في التعامل تتطلب أن نستفيد من كل وجهة نظر ممكنة. فالعلماء صارمون للغاية يأخذون الطريقة العلمية على محمل الجد بشكل مبالغ فيه إلى درجة التقديس وهذا نوع من العبودية العلمية وقتل لحرية البحث، ولوجهات نظر أخرى تريد أن تفهم هذا العالم وتتفاعل معه. إن المجتمع الحر لا يمكن أن يقوم عن طريق عقلانية علمية، أو برنامج بحث واحد، ولكن بتعدد المناهج وبالتعاون بين كل الطرائق لتحصيل المعرفة.

مراجع المحاضرة:

1 هانز رايشنباخ، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979، ص، 225.

2 Alfred Jules Ayer, Langage, vérité et logique, Tra : Joseph Ohana, Flammarion, 1956, p.p. 40-41.

3Alfred Jules Ayer, Langage, vérité et logique, p.p. 14-15.

4 Anouk Barrerousse & Autre (Sous la direction), Précis de philosophie des sciences, pp 289- 290.

5 يمكن الرجوع إلى مؤلفات بوبر، خاصة منها منطق الكشف العلمي

6بول فيرابند، العلم في مجتمع حر، ترجمة، سيد نفادي، الجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000.

7 P. Feyerabend, Science in a free society, London, NLB, 1978.

13- المحاضرة الرابعة عشر

مشكلة السببية

يُعرَّف مبدأ السببية التي يتحدث عنه الفلاسفة منهم القدامى بعدة تعاريف، منها ما كان يقول فيه أفلاطون في الطيماوس Le Timée كل ما يلد من الضروري أن يلد بفعل سبب، لآنه من المستحيل أن يلد من غير سبب. وقد ترجمها ديكارت إلى de rien rien ne se fait أي بمعنى آخر لا يحدث شيء من لا شيء. وبتطبيق هذا المبدأ على أصل العالم، يتحدث أفلاطون عن اشتراك نوعين من السباب في إجاده، السبب الميكانيكي، والسبب الإلاهي (الذكي).

أما أرسطو فهو يرجع هذا المبدأ (السببية) إلى التجربة لإنسانية وهو أربع، أي يشترك في إيجاد الشيء أربعة أسباب:

السبب المادي: مادة الشيء الخشب بالنسبة للكرسي، السبب الصوري: صورة الشيء والتي تميزه عن باق الصور، صورة الكرسي التي تختلف عن صورة الطاولة مثلا، السبب الفعال: أي هو السبب الذي يتخذ من السبب المادي صورة، أي النجار، السبب الغائي: أي الغاية التي من أجلها أتخذ السبب الفعال من السبب المادي صورة، وهي غاية الكرسي الجلوس[112].

في الفلسفة المعاصرة، هناك تفكير حول معنى السببية في علاقته بمفهوم القانون الطبيعي:

- الموقف كارل غوستاف همبل Carl Gustav Hempel (1905-1997) الذي يعرف بفكرة النموذج الاستنتاجي- الطبيعي من التفسير العلمي، الذي كان يعتبر "النموذج القياسي" في التفسير العلمي خلال الخمسينات والستينات، وتستند هذه النظرية إلى أن التفسير العلمي يرتبط بالفهم. وغيرها من استعمالات هذا المبدأ الذي لم تنتهي النقاشات الفلسفة حوله، بالرغم من أن برتراند راسل Russell أعلن في مقاله: On the concept of Cause عن موت هذا المبدأ ولا بد من محوه من القاموس الفلسفي نهائيا، وأن الفيزياء لم تعد تبحث عن الأسباب بقدر بحثها عن القوانين[113]، ويقدم لنا راسل مبررات هذا الموقف:

- التبرير الأول متعلق بالتشبيه أو التجسيم[114] Anthropomorphisme بحيث أن تجربتنا الخاصة هي التي تعطى لهذا المفهوم معنى (اعتبارات ذاتية).

- التبرير الثاني هو ربطه بأحد صنفي مبدأ السببية المتغيرة مثل: أن السببية تولد الانتظام، وفقا لهذا الاعتقاد فإن نفس سبب يؤدي إلى نفس النتيجة، وهذا أمر غير وارد في الحوادث الواقعية.

---

112 أرسطو، كتاب الطبيعة

113 Anouk Barrerousse & Autre (Sous la direction), Précis de philosophie des sciences, pp 153- 154.

114 التجسيم أو التشبيهية تعني إسقاط الصفات والمشاعر والنوايا البشرية على الكيانات غير البشرية.

– التبرير الثالث يؤكد التبرير الثاني، بحيث أن فيزياء القرن العشرين لا تعرف قانون التتابع السببي، بل انها نعوض هذا الأخير بقانون التكافؤ أو التعايش[115].

مهما كانت محاولات راسل المضادة لمبدأ السببية، فإن الواقع يقتضي الإيمان به، واعتماده كطريقة في معرفة تفاعلنا مع محيطنا، ومعيشنا، وكذلك من أجل استعاب قضايا العلم.

– ديفيد هيوم David Hume (1711-1776):

يضع هيوم في كتابه بحث في الطبيعة البشرية 1748 Enquête sur l'entendement humain نظرية متكاملة تفسر المعرفة، والأخلاق والسياسة والدين، على أساس الطبيعة الإنسانية، التي تتكون من مجموعة من الرغبات، والانفعالات والمشاعر والاعتقادات، ومن ملكات معرفية على رأسها، الإدراك الحسي، المخيلة، والفهم.

حين كانت النزعة الوضعية تؤمن بمبدأ الحتمية المطلقة الذي تخضع له الطبيعة، وبالتالي قدرتها على الوصول إلى القوانين النهائية التي تتحكم في ظواهر الكون، كان هيوم يؤكد على الإشكالية المنطقية للاستقراء. يعتقد الفيلسوف أنه لا وجود مبرر منطقي أو تجريبي لمبادئ الاستقراء خاصة منه مبدأ العلية أو السببية.

إن صدق قانون اليوم ليس ضمانا لصدقه في المستقبل، ثم انه ليس هناك علاقة ضرورية بين السبب والمسُبب (الظاهرة)، وكل ما في الأمر إن هذا الاعتقاد وليد العادة.

وقد سبقه في ذلك أبو حامد الغزالي وموقفه الرافض لمبدأ السببية حين يقول:<<إن الاقتران بين ما يُعتقد في العادة سببا، وما يعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا >>[116]. من هنا تكون التعميمات الاستقرائية لا مبرر لها من الناحية المنطقية.

– هانز رايشنباخ Hans Reichenbach (1891-1953) ومشكلة اللغة العلمية:

الفيلسوف الألماني، ارتبط اسمه بالوضعية المنطقية. اشتغل رايشنباخ على ثلاثة مباحث فلسفية:

– الفهم الوظيفي للمعرفة: أين يميز بين نوعين من الفلسفة، إحداها علمية حديثة، والأخرى تأملية كلاسيكية، وهذه الأخيرة يعيب عليها، لأنها تستعمل مصادر غير الإدراك الحسي، لأنه يؤكد على الملاحظة الحسية كمعيار وحيد للحقيقة. أما الفلسفة العلمية، فقد توصلت إلى الفهم الوظيفي للمعرفة، والفهم في المعرفة هو أداة للتنبؤ. ويشير راسنباخ بالفهم الوظيفي للمعرفة، إلى النزعة التجريبية المنطقية Empirisme logique.

– علاقة المعرفة باللّغة والمنطق: ليس المقصود هنا لغة الحياة اليومية فحسب، بل اللغات العلمية أيضاً، تستعين هذه المدرسة بتحليل اللغة وعلاقتها بالعالم الخارجي، وذلك عن طريق إيجاد صيغ مختلفة تربط عالم المعطيات الحسية

---

115 Max Kistler, La causalité dans la philosophie contemporaine, Revue, Intellectica Année 2004/1, 38, pp. 139-185.
- https://www.persee.fr/doc/intel_0769-4113_2004_num_38_1_1711

116 أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، المسألة17، ط6، دار المعارف، 1980، ص 239.

بالنظريات العلمية وما تحتوي من مفاهيم تجريبية وبذلك تحقق هذه التجريبية هدف الفلسفة والعلم في وحدة العلوم التجريبية.

كما أنها تستعين بالمنطق والرياضيات، ذلك أن الطريقة الاشتقاقية التي يوفرها المنطق تستطيع أن تساعدنا في بناء المعرفة التجريبية على أسس متينة وواضحة. وذلك عن طريق اختيار بعض المفاهيم الأساسية البسيطة وتعريف المفاهيم المعقدة بواسطتها حتى يتم بناء المعرفة العلمية، شريطة اشتقاق النظريات العلمية من قاعدة تجريبية معينة.

– القابلية للتحقق ونظرية المعنى: من خلال التوظيف العلمي للحواس يترتب عنه نوع من ردود الفعل منها رد الفعل اللّغوي. إذ تتجمع العلامات (الرموز، والكلمات)، لكي تولد عبارات، ينبغي أن تكون ذات معنى، ولا تكون كذلك إلى إذا تأكدنا أنها مناظرة لحالات واقعية فعلية، وفي هذه الحالة تكون صحيحة، وإذا حدث العكس فهي باطلة ومن دو معنى.

يبقى أن رايشنباخ يرفض فكرة صدق المعنى عند الوضعيين المناطقة، ويفضل استعمال مصطلح احتمالية المعنى. ذلك أنه يمكن التحقق من القضية بدرجة من الاحتمال وفي هذه الحالة تكون ذات معنى. مثال ذلك عن الجمل التي يمكن التحقق منها: المطر يهطل. الجمل التي لا يمكن التحقق منها مباشرة: كانت الديناصورات تسكن الأرض[117].

– مشكلة الحتمية واللاحتمية

إن التطور المذهل الذي شهدته العلوم الطبيعية عامة، والعلوم الفيزيائية على الخصوص صاحبه تغير الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة من قبل منها مفهوم الحتمية النيوتني (نسبة لنيوتن) حول الحركة Le mouvement، الذي اعتبر أن العالم آلة كبيرة تتحكم فيه قوانين ميكانيكية، يخضع لحتمية مطلقة. وقد ظلت قوانين نيوتن في الحركة Les lois du mouvement de Newton الأساس الذي بنيت عليه جميع القوانين، والنموذج المعرفي آنذاك، في كتابه: الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية 1687.

كان تأثير نيوتن واضحا على العالم الفرنسي لابلاس Pierre-Simon Laplace (1749-1827) ، بنظرية نيوتن للجاذبية في بداية القرن 19 جعله يقتنع بحتمية الكون، واعتبر أن القوانين التي توصل إليها نيوتن، تسمح لنا بالتنبؤ بأي شيء سيحدث في الكون كحساب حالة النظام الشمسي في أي وقت آخر مثلا.

لكن سرعان ما واجهت هذه النظرية الفيزيائية صعوبة في التعامل مع كثير من الظواهر، حتى الحركة منها، مما أحدث أزمة في الفيزياء التقليدية (أزمة منهج)، وإيذانا بمولد الفيزياء الحديثة، التي دخلت معها في علاقة جدلية تكاملية. ومن الأسباب التي جعلت من الفيزياء التقليدية تؤول إلى هذه الوضعية، افتقادها لمنهج وطريقة تثبتها أمام مختلف المتغيرات، نتيجة الاكتشافات الجديدة في القرن العشرين على يد شباب يافعين أمثال:

– فيرنر كارل هايزنبيرغ Werner Karl Heisenberg (1901-1976) مكتشف مبدأ الاحتمال، وعلاقات الارتياب.

– جوردن C.Jordan (1838-1922) مؤسسنظرية المجموعات

_ باول ديراك P.A.M.Dirac (1902-1984) مؤسس نظرية الكم

---

117 هانز رايشنباخ، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة: أحمد زكريا، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1968.

- بوهرN.Bohr (1885-1962) باحث في طبيعة الذرة

- ألبارت انشتاين A.Einstein (1879-1955) صاحب النظرية النسبية [118].

والسبب الثاني هو أن أخطاء نيوتن تحولت عند الفيزيائيين المعاصرين له والذي من بعده بقليل، إلى حقائق مطلقة

– النظرية النسبية (الميكانيكا غير النيوتنية):

لهذه النظرية قيمة معرفية في تحويل مسار العلوم الطبيعية عامة، والفيزياء خاصة، ظهرة نتيجة الإخفاقات المنهجية التي اتسمت بها الفيزياء النيوتنية التي تعتمد على الأثير في حديثها عن ظاهرة الضوء، وعلى دراسة حركات العالم الأكبر Le Monde macroscopique في بناء قوانينها، وذلك باكتشاف خواص جديدة للمكان وللزمان، ورفض الفصل بينهما، وألغت المفهوم اللاهوتي لهما باعتبارهما مطلقان[119].

تتحدث النظرية النسبية عن عالم آخر أصغر Le monde microscopique عالم الذرة، وقد نتج عن ذلك فكرة اللاحتمية، أو اللا تعيّن، وعلاقات الارتياب والاحتمال للدلالة على نسبية العلم.

إن أهمية الاكتشافات الجديدة للنظرية النسبية تكمن في تحطيمها للفهم الضيق للطبيعة وللعالم، وفتح جديد على العقل العلمي وتخليصه من الفكر الوثوقي الذي ساد لقرون، وتحطيم فكرة النموذج المعرفي والمنهجي (الفيزياء) الذي كان سائدا، واستبداله بنموذج آخر أكثر تفتحا.

مهما يكن من نقائص في نظريات الفيزياء الكلاسيكية، فإن منطق الاعتراف يفرض علينا التسليم بأن لكل علم بداية، وكل معرفة متغيرة، والتطور سمة أساسية في العلم، لذلك لا يأمن علم اليوم مكانه وقيمته مستقبلا، وهذا ما تهدف فلسفة العلوم إليه.

---

118 غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، تر: عادل العوا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983، ص ص44-45.

119 السيد نفادي، السببية في العلم، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2006، ص 91.

مراجع المحاضرة:

1أرسطو، كتاب الطبيعة

2 Anouk Barrerousse & Autre (Sous la direction), Précis de philosophie des sciences, pp 153- 154.

3التجسيم أو التشبيهية تعني إسقاط الصفات والمشاعر والنوايا البشرية على الكيانات غير البشرية.

4Max Kistler, La causalité dans la philosophie contemporaine, Revue, Intellectica Année 2004/1, 38, pp. 139-185.
- https://www.persee.fr/doc/intel_0769-4113_2004_num_38_1_1711

5أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، المسألة17، ط6، دار المعارف، 1980، ص 239.

6 هانز رايشنباخ، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة: أحمد زكريا، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1968.

7غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، تر: عادل العوا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983، ص ص44-45.

8 السيد نفادي، السببية في العلم، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2006، ص 91.